دير القديس أنبا مقار

ميامر
القديس مار إسحق
السرياني

الجزء الخامس

الميمر الأول

رسالة للقديس مار اسحق
فى تدبير سيرة السكون

إننى لم أُقدم على هذا العمل كمجترئ .. ولكن من شدة محبتى لكم ، حتى أننى فى أحلامى كنت أجد نفسى متحدثاً إليكم ؛ والمحبة دائماً تتخطى كل حدٍّ ..

١- الحاجة إلى إيمان بالله بغير ارتياب :

إن بداية كل حياتنا فى الله بالنسبة لك يا أخى ، هى أن تكون صارماً فى إيمانك فيما أنت مسافر على طريق مسيرتك النسكية ، لكى ما يمكنك من هنا أن تمتص كل الحلاوة التى أخفاها الروح فى الأسفار المقدسة . إننى لا أتكلم عن كيف تعترف بالله ، لأن الكلام فى هذا الأمر فضلة هو للذين هجروا العالم وهم الآن يتبعون الله ، ولكننى (أكتب إليك) لكى ما تثبت فى رجائك . بإيمان لا يعتريه شك . بكل الأمور الفاضلة التى وضعت على هذا الطريق ، وتسلمناها فى الأسفار المقدسة . هذه الأمور التى قد أدركها النساك وهم دائماً يسعون لكى يبلغوا إليها .

فحين تسمع شهادات الآباء بخصوص مجد السيرة التوحدية المملوءة أسراراً التى ضمنها الروح القدس فى

كتاباتهم كمحفِّز لنا، باعتبار أنهم قد سبقونا فى سلوك هذه السيرة، لا تصغر نفسك حين تقرأ؛ لأنك سوف تصل إلى تمييز هذه الأمور (التى لم تدركها) من قبل، مع أن الروح قد وضع فيك مذاقتها منذ أمد بعيد. فهى لك، ولكن لم يأتِ الوقت (لاستعلانها)؛ والرب يعرف الوقت الذى يراه مناسباً أن يكشفها لك. لأن هذه الأمور مدخرة عنده لك ولأمثالك، وسواء كان هناك أو هناك فهى على كل حال لك، بشرط أن تحيا داخل الحظيرة بحسب مشيئة ناك الذى سوف يهبك إكليل الحياة. إنه يريد أن يعطيها لك، ولكنك لا تستطيع الآن أن تتقبلها بالكيفية التى ترغب فيها، إلى أن يأتى وقتها المناسب، حين يجعل الرب معرفتها تضئ داخلك دون أى سؤال من جانبك.

٢- نتائج قلة الإيمان:

احترس من أن تكون غير مؤمن حين تطلب هذه الأمور ولا تجدها فى متناول يدك، لئلا يتولد لك من هنا شئ ما لم تكن تطلبه ولم تعرفه؛ لأن عدم الإيمان ينال جزاءً. لا تقل: «إننى قد جاهدت وقتاً طويلاً ولم أجد شيئاً»، أو: «إن حقيقة الأمر لا تتناسب مع عِظَم الكلمات». احترس من هذا الرأى، لأن العقاب يتبع عدم الإيمان سريعاً، فالقلب غير المؤمن يُدان.

وما هو العقاب ؟ هو أن تسقط من هنا فى اليأس نتيجة للإحساس بالتخلية الذى يترتب على عدم إيمانك ، ثم يسلمك اليأس إلى الكآبة ، وتقودك الكآبة إلى التراخى ، وهذا يحرمك من رجائك . وليس هذا أمر آخر أعظم شراً من هنا يمكن أن يلحقك .

٣- الحاجة إلى الثبات والمثابرة :

اعلم يا أخى وحبيب نفسى أن السكون وكل تدبير يوجد إنما يعطى أثماره بحسب المدة المناسبة وانشغال الشخص به . وقد قال أحد الشيوخ القديسين : " إن السكون وهدوء القلاية يعطيان ثمرة على قدر مثابرة الشخص واحتراسه " . فإن كنت خالياً من المثابرة ومساواتها بالخدمة (أى الصلوات) ، لا تنتظر أن يحصل لك منها عزاء حقيقى. إنك لم تبلغ بعد إلى أن يتأصل فيك الاعتياد على الممارسة الذى من شأنه أن (يخفف) من التعب المرافق لها . ولأنك مازلت بعد كمن يبتدئ من جديد فى كل مرة ، فلسبب طول المدة التى يلزم أن تثابر فيها (قبل أن يمكنك أن تجنى الثمر) تظل غير متدرب جيداً على أى عمل ، فقبل أن يبدأ العمل بإعطاء ثمره تكون أنت قد تراجعت عنه .

كل تدبير بغير ثبات ولا مداومة تجده أيضاً بغير ثمر ، ولست أقصد بقولى هذا أن أسبب لك ضيقاً ، ولكننى أظهر

لك هدفاً وطريقاً. خذ مثالاً لذلك شجرة مزروعة يتعهدها رجل غير حكيم؛ فهو حين يراها تسقط أوراقها السابقة وقد بدأت تخرج براعمها الجديدة، تجده يمنع عنها الرى المعتاد فتذبل تلك الشجرة وتجف. عندئذ تحتاج إلى وقت طويل حتى تنعشها قوة الماء من جديد وتبدأ أن تستمد الغذاء من التربة وتسترد الحياة. وربما ينقلها باستمرار من مكان إلى آخر ويضطر فى كل مرة أن يهز جذورها وينفض عنها التراب لهذا الغرض. ومع كل هذا تراه يتعجب ويقول: "لماذا لم تأتِ الشجرة بأى ثمر لنا؟". هكذا هو حال أى شخص غير مُدرَّب، فهو لا يتصرف بموجب تدبيره، ولكنه يطلب من الله ما يراه مناسباً له حسب تفكيره، ويدَّعى بعد ذلك أنه لم ينل شيئاً مما يحق له. إننى أترك جانباً الأمور الخفية التى على أساسها يحكم الله على أعمال أى إنسان، إلاَّ أنه سيطلب منا أيضاً هذه الأشكال الخارجية لتدبير السيرة، ويريدنا أن نقتنى المزىّ الخارجى اللائق الذى يتناسب مع درجتها الحقيقية.

عندما يكون الشخص مفتقراً إلى أى شئ من الأشياء النافعة لتدبير السيرة، فهو لا يكون بمقدوره أن يكمّل سعيه فى السكون أو ينال إكليله، بما أنه حين يأتى وقت لبس الإكليل يُزعج ويُكدِّر ذلك النقص عين النفس. ولهذا فإنه لابد أن يكون تدبير الإنسان شاملاً كل ما هو ضرورى سواء

بالنسبة للجسد أو للنفس .

كما أن ربان السفينة إذا نقص أى جزء من البكرات أو الحبال اللازمة لتحريك قلوع سفينته فإنه لا يستطيع أن يقوم بأى رحلة فى البحر مهما كانت صغيرة إلى أن يقتنى كل شئ يحتاجه بالضبط ويحتفظ بالكل معه فى سفينته ؛ هكذا أيضاً الشخص الذى يريد أن يسير على طريق الوحدة ، ويتمنى أن يتمتع بثمارها ، ويقتنى الرجاء بالله فى نفسه ؛ فإنه إذا كان مفتقراً إلى أى شئ صغير مما تحتاج إليه رحلته ، فذلك الشئ الصغير الناقص سوف يجعل كل الأشياء الأخرى بغير منفعة عندما يحين الوقت الذى يحتاج فيه إليه .

إن تدبير سيرة الوحدة تحتاج قبل كل شئ إلى الوقت وإلى المداومة أثناءه ، لأنه إذا كان من غير الممكن لأى شخص أن يتعلم صنعة فى هذا العالم ما لم يمكث وقتاً كافياً وهو يداوم الاشتغال بها ، وبعدئذ فقط يلتقط ذهنه الغاية والطريقة التى يمارس بها المهارة التى سعى إلى اكتسابها ؛ فكم بالأكثر ينطبق هذا الأمر علينا . فإذا كانت المهارة التى تُرى بالعين تحتاج إلى وقت طويل ودراسة مستمرة ، فكم بالأكثر مهارة الروح التى لا تراها العين ، ولا يعرف أحد ممن يتعلمها ، كما أنها تتطلب نقاوة كثيرة ، فمعلمها هو الروح القدس وخبرتها خفية بينما الذين يسعون لتعطيلها هم غير متجسدين . إنها تتطلب وقتاً طويلاً ومداومة فى الممارسة . والجسد أيضاً سوف يعمل بخداع ضد الإنسان

لطول مدة تعلّمه لها ، والعقبات التي يضعها في طريقه كثيرة لا تحصى .

ولهذا يا أخي ، فإن هذه السيرة تحتاج قبل كل شيء إلى وقت ومداومة ، ثم مثابرة ، طالما أنه بهذه الوسيلة يمكن للإنسان أن يصبر في الأتعاب ويثبت في الوحدة وفي الأحزان التي تخصها ، فإن هذه هي أشق وأصعب ما في هذه السيرة ، بسبب كثرة القتالات التي تحصل فيها نتيجة للعزلة عن كل أحد . وبالمثل فإنه من الضروري ألاّ يغيّر الإنسان مربياً ما بدأ به ، بل بالأحرى أن يثبت فيه إلى أن يكمله مثل الأم التي تحتمل أوجاع المخاض إلى أن تلد .

٤ ـ الحاجة إلى توازن صحيح :

هناك شيء آخر يحتاج إليه الإنسان ، وهو توازن التدبير ، لكي تكون كل أنواع أعماله المختلفة متساوية . فلا ينبغي أن يزيد من نوع واحد أو اثنين من الأعمال التي يحبها تابعاً مسرّة مشيئته فينشغل بهما فقط بينما يكون فارغاً من الأعمال الأخرى التي يكون في حاجة ماسة إليها . والأحرى أن يكون تدبير الإنسان متساوياً في جميع نواحيه بوجود كل أعمال الفضيلة : كمقدار القراءة تكون الخدمة (صلوات السواعي) ، وكمقدار الخدمة يكون السجود ، وكمقدار السجود يكون الصوم ، وكمقدار الصوم يكون سهر الليل ، ويقرن مع هذه جميعها العمل

الخفى الذى للعقل ، لكى حين يعمل الجسد لايوجد القلب ساكناً بطّالاً. لأنه ينبغى أن تتيقظ القوة العقلية فى القلب لكى ما تدرك ماهو مخفى فى طبيعتنا البشرية هذه، وكيف أنها تحتاج إلى جميع الأعمال الظاهرة التى يقوم بها الجسد المرئى من أجل منفعتها .

إذا ما رأى الشياطين شخصاً يسير فى نور ذهنه نتيجة تعادل خدمته وأعماله التى يعملها بقياس ، فإنهم حينئذ يحاربونه ويحاولون أن يفقدوه اتزانه حتى يجعلوه إمّا أن يزيد أو ينقص أحد هذه الأعمال ، والأمران كلاهما متساويان فى ضررهما. إن التوافق الذى نراه بين أعضاء الجسد يقدّم لنا نموذجاً لما ينبغى أن يكون عليه التوازن بين أعمال التدبير النسكى ؛ لأنه إذا وُجِدَ هناك عدم انسجام فى جزء واحد منها فإن ذلك سوف يؤدّى فى الحال إلى اضطراب الجسد كله ، ومن هنا يأتى المرض . هكذا الحال بالنسبة للأعمال النسكية : إذا أُضيف أحد الأمور التى تؤدّى إلى قيام صحة النفس الجيدة ، أو إذا استبعد أمر آخر ، فسوف يؤدى ذلك إلى النتيجة عينها (أى إلى مرض النفس) .

فمن خلال الزيادة أو النقصان على السوء ينشأ الظلام فى النفس ، والشياطين ترتعد جداً من هذا التدبير المتوازن بقياس . وهى لذلك، إذا لم تتمكّن من أن تعطّل اشتياق الإنسان

بواسطة مختلف العلل لكى ما تجعله يتوقف عن سعيه الثابت أو تفسد تدبيره . فإنها تحارب مقابله بواسطة حرارة غيرته ، وتحثه على الزيادات حتى ينهار تحت ثقلها . إلا أن الإنسان الحكيم يحترس من الزيادة المفرطة كما من التكاسل على السواء .

كل شئ يكون بقدر ومقياس يمكن ممارسته بانتظام . ولكنه إذا تجاوز هذا الحد فإنه يقود إلى التشويش والارتباك ، وحالما يرتبك الإنسان فإنه لا يعود يعرف ما يعمله .

يحتاج الإنسان أيضاً أن لا يبالى بالجسد فى كل شئ حتى يمكنه أن يتمسك بالتدبير الحسن فى جميع أموره ، فلا يطلب التدقيق الشديد فى كل شئ ، وفى كل التفاصيل ... بل يقتنى عدم الاهتمام بكل تدابير هذا العالم ، ويحقق فقط ما هو نافع منها . لأنه إذا استسلم لها فإنه لا يقدر حينئذ أن يحتفظ بسيطرته على كل شئونه .

٥ ـ الحاجة إلى قلب شجاع :

يحتاج الإنسان أيضاً إلى قلب شجاع حتى لا تصغر نفسه وسط غيارات أنواع القتالات التى تعرض له لأجل اختباره ولكى ما تنمو معرفته . لأنه من الضرورى أن يكون الإنسان حكيماً فى معرفة اليمينيات واليساريات ، لأن بولس الرسول يراه جيداً أن « يكون الإنسان متأهباً لكل عمل صالح » (١تى ٢ : ١٧) ، وهذا يأتى من التدرب على المثابرة . كذلك يقول : « فاشترك أنت فى احتمال

المشتقات لجندى صالح ليسوع المسيح » (٢ تى ٢: ٣). ولا يستطيع أحد أن يغلب فى الحرب بغير الحكمة، ولا أحد يقتنى الحكمة بغير قتال، كقول أوغريس: « بقدر ما تقدَّم النفس فى الفضيلة بقدر ما يحيط بها المضادون الأشداء ». أما النفس لا تواجهها أية حروب فهى تُحرم من الفضيلة. لأن الفضيلة تتخذ اسمها من هذا الأمر عينه: أنها قد صارت مشرقة وتأهَّلت لنوال الإكليل كنتيجة للتجارب المتنوعة التى أتت عليها.

٦- لا تيأس إذا تراءى لك أن الصلاة لم تُستجب:

كذلك يتطلَّب الأمر الاحتمال وطول الأناة حتى لا يخور قلب الإنسان إذا تأخَّر تحقيق تطلعاته. فإن كان يترقَّب شيئاً ولا يحصل عليه فى الحال، أو يطلب ولا يُعطَى له بحسب تصوّره، أو ينتظر وقتاً طويلاً استجابة طلبه، فلا ينبغى عندئذ أن يضعف رجاؤه ويصير فى حيرة وكآبة نفس.

٧- السكوت والإيمان:

ثم بعد كل هذا - وبالأحرى قبل كل شئ وأكثر من كل شئ كما سبق أن ذكرت فى البداية - فإن سكون الجسد والإيمان الراسخ فى النفس، هما أمران لازمان للإنسان، لأنهما يحيطان بكافة الأمور الأخرى التى تكلَّمنا عنها. وعن طريق عناية الشخص واهتمامه يأتيان بها إلى الكمال. هذان الأمران هما اللذان ينبغى أن يطلبهما الإنسان فى الصلاة بدموع كى يسمح الله أن

يدوما له ، طالما أنه بواسطتهما تُعمل كل هذه الفضائل وتُكمَّل ، بالإضافة إلى الأمور الأخرى التى لم تُذكر هنا . لأنه بدونهما لاتوجد أى إمكانية أن تكمل ولا واحدة من الأمور التى ذكرناها.

وهذا ينطبق على السكون ، لأنه يحفظ الحواس من التشويش الخارجى ويهيِّئ الفرصة لأعمال الجسد والنفس كليهما بواسطة السلام الذى يفيض من خلال الحرية التى ترتبط به (أى بالسكون) ، واليقظة التى تملك على الجسد والنفس كليهما ، ومن خلال توقُّف العلل العادية التى تلاطم الإنسان فى معاملاته الخارجية سواء كانت إرادية أو أحداثاً عارضة .

وهو أيضاً ينطبق على الإيمان لأنه يقوِّى الإنسان فى الرجاء حتى يحتمل كل المخاطر التى تواجهه بفرح من أجل هذه الأمور الإلهية . ونتيجة لذلك فإنه لا يعود يتزعج حتى من الموت ، ولا يشعر بأى ألم كأى كائن جسدانى ، بل مثل شخص يقتنى رجاءً يفوق الجسد وقلباً شجاعاً يستمد قوته من الله وينتظر الرحيل عن الجسد كل حين ، ويكون فى فكره كمن يتمخَّض لكى يلد ذلك الرجاء الأبدى الذى من أجله يتألم كل يوم ويصبر على مواجهة كل هذه الضيقات راضياً لكى ما يبلغ بأمان إلى القيامة من الأموات . لأن فرح الرجاء الذى يُولد من الإيمان من عادته أن يتخطَّى كل الصعوبات .

بقدر ما تزداد الأتعاب بقدر ما تتدفق النعمة، ذلك حينما ترتبط بها المثابرة. وبمقياس ما يزداد الترقب تقل آلام الإنسان. وبقدر ما تشرق الحكمة يدخل الفرح. لأنه في الحكمة يتحد بالله ويغوص في محبته ويتخلص من رباطات الأوجاع، وبالفرح يغلب الأحزان. إنه من السهل على الفرح أن ينسى العالم والجسد كليهما.

٨ـ التمييز:

ينبغي أن نتضرع إلى الله كي يمنحنا أيضاً أن نتعرف على كافة أنواع الأرواح المختلفة، ونميز بين الرؤى الحقيقية وتلك التي تأتي من الشياطين، كما ونفرق في الأحلام بين الدوافع التي تأتي من الملائكة وتلك التي تكون من الشياطين والأخرى التي تنشأ من النفس، وكذلك نميز بين الأفكار التي تستقر في العقل كنتيجة لهذه الثلاثة أنواع من الدوافع التي يحيط بها الإنسان ويميزها ـ كما يقول الآباء ـ من الهدوء أو التخبط الذي يصاحب كل نوع منها؛ ومن السلام أو الانزعاج، ومن الفرح والثقة أو الخوف والحزن: فالأولى تخصها والأخرى هي من أصل غريب ـ سواء كانت تخص الأفكار أو الأحلام، أم أنها تنشأ في الحواس وبالملمس.

وفي حالة دوافع النفس من الواضح أنه لا الفرح ولا الحزن، ولا الانزعاج ولا السلام تصاحبها؛ لكنها تكون دوافع

بسيطة تعبر دون أن تحمل شيئاً من ذلك على الإطلاق.
وينبغي أن نفهم أن المقصود بدوافع النفس هي تلك التي تخصها قبل أن تدخل مجال النفس الطبيعي الحقيقي الذي هو الصفاء.

وبالنسبة للدوافع التي يحركها الجسد، سواء تلك التي تتصل بدوافع الشهوة أو مبأى شئ آخر غير ذلك، فمن الواضح أن الجسد حين لا يكون مرتبطاً بها عن طريق أي قتال من الخارج، فهي لا تكون مختلطة مع تلك المجاذبات والمثيرات الشديدة التي يصعب ضبطها. إلاَّ أن الطبيعة تطلب ما تحتاجه في هدوء، وتبقى حركاتها ساكنة. لأنه لا يوجد أي تشويش في ما رتَّبه الله، فقد وضع في الطبيعة البشرية الاعتدال والانسجام الكامل.

أما إذا اختلطت أي إثارة غريبة مع الحركات الطبيعية التي تنشأ فينا، ويعرف الإنسان ذلك من القلق والتشويش والتخبط الذي يصيبنا سواء كان هذا عن طريق إحساس ينشأ من الجسد أو عن طريق أفكار تتعلق بتذكار أمور متنوعة أو بواسطة أحداث طارئة، فإنه ينبغي أن نفهم ذلك - كما قلنا - على قدر ما يمكن إدراكها عندما تكون النعمة على مقربة منا.

هذه الأمور هي التي يكون من الضروري أن يُذكّر بها الإنسان صديقه ، وأن يتفطّن فيها بنفسه كل وقت .

٩- أهمية الانتظام في الممارسة :

الصوم والصلاة وبقية الأعمال هي أمور عادية بالنسبة لكل أحد ، ومع ذلك فلن أتأخر عن أن أُظهر في المكان المناسب المعونة التي تتوفّر من هذه الأمور التي يسهل على كل أحد أن يقوم بها بالإضافة إلى تلك التي يعتبرها الجميع أموراً طفيفة . ومع أن كل الذين يهتمون بخلاص نفوسهم يمتلكون بعضها جزئياً ، إلاّ أنه لكونهم لا يعرفون لماذا يعملونها ، فلا تجدهم جميعاً قريبين من الحصول على الثمار التي تأتي منها . وهذا يكون بالأكثر بما أنهم لا يدركون مدى أهمية هذه الأعمال التي يقومون بها . وذلك لأنهم يمارسونها بغير نظام أو ترتيب وبدون مقياس ، ولأنه ينقصهم الثبات والمداومة لمدة كافية .

أي شيء يمكن أن يكون أضعف من نقط الماء ؟ أليس أنها بطول الوقت والاستمرار تستطيع أن تثقب الحجر وتعمل شقوقاً في الصخور الصلدة ؟ هكذا فإن العمل الدائم ولو أنه قليل ، فلأجل دوامه يربّي كنوزاً عظيمة .

١٠ـ قانون سهل للضعفاء :

وأنا أدلّك على قانون سهل يليق بالضعفاء ، وبه يتقدّم الإنسان ، والحلاوة المتولدة منه بعد قليل فيها الكفاية لأن تجذب الذهن إلى الثبات فيه بمداومة لكى ما يمكنه أن يقوم بخدمته بحرص وهدوء وبغير ضيق :

إذا ضعف الجسد وبرأت تتعب من الوقوف باستمرار لكى تتمّم أعمال العبادة العادية ، ولهذا غالباً ما تشغل عن الصلوات الدائمة التى تكمل بالجسد ، تلك التى تتولّد من الصلاة القلبية ، خُرّ على وجهك دفعات كثيرة بجوار كرسيك والكتاب بيدك ، واثبت فى التضرّع بعض الوقت بحيث تمتزج مفاوضة القراءة مع الصلاة . فالنور الذى تتقبّله من هذين النوعين يضئ فيك ويُبهج نفسك . لأن الصلاة تمنحك فرحاً بسبب القراءة ، كما وتستضئ أيضاً فى القراءة بمفاتيح الصلاة . لأنه بالصلاة ينفتح باب الأفهام أمام الذهن ، وهذه الأفهام بدورها ـ بسبب طبيعتها المذهلة ـ تثير شهوة الصلاة نتيجة للتأمّل الذى يتولّد منها .

١١ـ صلاة التأمّل :

الصلاة التى تنشأ نتيجةً للتأمّل ليست هى صلاة عادية ، إنها تربط الذهن بقوة حتى ينجمع وتتولّد منه صلوات صارخة ونقية بطريقة تلقائية هادئة . والإنسان لا يستطيع أن يقوم كل الوقت فى وجود قوة الأفهام ، ولا أن يستعمل حواسه

بحرية ، فغالباً ما يكون من الصعب على الإنسان إزاء شدة قوتها أن يلتفت إلى نفسه ويقوم بالصلاة ، إذ أنه كثيراً ما تترك النفس غير قادرة أن تتحوّل إلى الحواس وتنهضها للعمل ، أو تستخدم الجسد بالكيفية الطبيعية ، لأن النفس تكون حينئذ مبتلعه بقوة الدهش . ولكن هذا الأمر لا ينطبق على كافة الأفهام ، فهناك أفهام تلد الصلاة وهناك أفهام أخرى تلد الصمت . والذى اختبر هذه الأمور يعرف الفرق بين الحالتين .

لهذا يا أخى ، إذا كان الطريق الأعلى - الذى هو مداومة الوقوف غير مستطاع لديك ، ففيما عدا خدمة الأوقات السبعة المحدّدة ، اعمل كما ذكرت لسبب ضعف الجسد . ولكننا لا نتوقّف من ذلك حتى بعد أن نكون قد حصلنا على معونة ؛ لأن الكسل يولّد الموت حتى فى حالة الضعف .

لذلك - كما كتبتُ - خُرّ على وجهك بجوار كرسيك ، وإن كان بيديك كتاب أو شئ تعمله ، ضعه على الأرض واسجد واثبت فى التضرّع بعض الوقت . فليكن لك هذا القانون كل أيام حياتك وفى كل موضع سواء فى البرية أو أى مكان تنجمع فيه إلى ذاتك . وليس فى حقارتى كفاية أن أصف لك ما يتولد لك من هذا العمل بربوات سطور .

١٢- لماذا تكون أعمال الجسد ضرورية ؟

نحن لسنا بسبب الخوف نمارس الأعمال الجسدانية أو نهتم بالاحتراس فى أنفسنا ، ولكن لأننا نعرف أن الراحة الجسدية تبعدنا من الله وتخيّب ذهننا من الهمّ به الذى منه يتولّد الاشتياق إليه فى نفوسنا .

كما أننا نمقت التشتّت ونرفض المفاوضة مع إخوتنا الأحباء المكرّمين ليس لأننا نبغضهم ولا لأنهم ليسوا أفضل منا - إذ أننا فى كل وقت نستعين بصلواتهم - بل لأننا نعدم التنعم مع ربنا بسبب المداومة مع الناس . لأن الوحدة تجعلنا نتحد بالله . وهكذا فإنه ليس لسبب الرعبة من عذابات جهنم أننا نحفظ القوانين بتدقيق ونظهر اهتمامنا بها ونجتهد فى تتميمها ، بل لأن الحديث مع الله يوجد فينا وهى تنشئ فينا تذكاره الدائم ، لأنه بواسطة كل شئ يُعمل لأجله وباسمه بانجماع نُرفع إليه . فالاهتمام الدائم بهذه الأمور يولّد فينا اهتماماً دائماً فيه . وعليه فإنه ينبغى لنا ألّا نترك وقت الصلاة بدون أى ضرورة مُلحّة ، وإن حدث أننا تجاوزنا القانون مصارفة ، فينبغى ألّا نترك أنفسنا بدون إحساس بالحزن .

١٣- السلوك الخارجى اللائق :

كذلك ينبغى أن نغصب أنفسنا على السجود فى الخدمة

حتى ولو كنا مرضى جداً . حتى ونحن على فراشنا فلنقترب بانتباه ووقار ، قبل أن ننام ، ونغصب أنفسنا بحريتنا ونتنهد أمام الله بقلب متوجع وقتاً طويلاً ونتضرع إليه لكي يحفظنا من دنس الأفكار ومن الأحلام النجسة ، فينبغي أن نجتهد حتى يغلبنا النوم بينما الاهتمام بالله يملك في قلوبنا .

وينبغي أيضاً أن يكون جلوسنا في كل صلوات الساعات باتضاع ومسكنة ؛ وكما لو كنا تحت اضطرار الموت يجب أن نحفظ عدد صلواتنا . ولا تعوزني الحاجة أن أذكر أنه ينبغي أن نحدد وقتاً معيناً لتناول الطعام ، وأن لا نأكل أي شيء نجده خارجاً عن الموعد المحدد ، وأن تكون لنا وجبة واحدة فقط ونحذر من تناول أية إضافات في أوقات أخرى من النهار ، فيما عدا حالة الضعف الشديد الذي ينشأ من المرض. كما ويجب أن لا نكشف أجسادنا ونتفرس في أرجلنا العارية ، وأن لا نداوم لمس جسدنا مثل الناس المنحلين فاقدي الأدب .

كذلك لست في حاجة أن أقول إنه ينبغي أن نحتفظ بالصمت الدائم حين يتصارف وجوبنا خارجاً ، وأنه إذا قابلنا أحداً نلتزم بأقل قدر من الكلام ، فنتحدث فقط بما هو نافع ، وليس بفضول أو بهذر أو ضحك . كما أنه ينبغي أن تكون نظرتنا دائماً منجمعة وحواسنا منضبطة بلياقة ، ومسحة من الحزن على وجوهنا فيما نحدق على الدوام وفي كل لحظة في

آلام ربنا ، لأننا من خلال ذلك نرتفع إلى تذكار ما احتمله من أجل جنس البشر ، والمحبة التى أظهرها من نحونا ، والمواعيد التى وعدنا بها ، والرجاء المحفوظ لجنس البشر فى العالم الجديد ولجماعة المسيحيين بوجه خاص . وكل الأمور التى صارت معلنة للجميع بمجئ المسيح للعالم : لأننا بواسطته وجدنا دالة للاقتراب من الله كما يقول الرسول . لأن « الواحد قدمات من أجل الجميع » (٢كو ٥ : ١٤) ، و« بذبيحة جسده صالح العالم مع أبيه » (قارن : عب ١٠ : ١٠) ونخلصنا من عبودية الشياطين وأنقذنا من تسلط سلطانهم .

١٤ - الإحساس بالله :

والنتيجة أننا نعبد الله ونحس بخالقنا ، وكما أننا نعبده ونخدمه فى كل مكان ، كذلك لسنا نخاف من أى شئ ، كما كان الحال فى الأجيال السابقة حين كان الناس يعيشون فى رعبة من الشياطين . وأى رجاء هذا الذى قد بُشِّرنا به ، أن يسكر الإنسان بالفرح بهذه الأمور ، وهو لا يدرى أين هو أو إلى أى نوع من المعرفة أحضرنا فى المسيح !

ثم حين يعود الإنسان إلى نفسه ، يتفطَّن كيف أن الله ، رغم كل هذا ، تناله منّا الإساءة ، وكيف نحتقر ما يحبه ونزدرى بما أوصانا به مع أن القصد من وصاياه هو خلاص نفوسنا ومؤازرة بعضنا بعضاً . فإذ نتفكَّر بهذه الأمور

كل حين يتسحّب الحزن على وجوهنا سواء كنا وحدنا أو تصارن وجودنا مع آخرين . هذا الحزن يحفظنا من التراخي وهذه التذكارات تحفظ قلوبنا في وقارٍ وتخشّع ويقظة كل حين .

١٥ - الحكم الخاطئ على أهمية الممارسات الرهبانية :

إن الاهتمام بهذه الأمور وما أشبهها ، يا أخي ، ليس هو لأن الله يغصبنا أن نعتني بممارستها . بعض الناس الذين يظنون أنهم حكماء - مع أنهم لا يدركون السبب في حفظنا هذه الأمور ويحكمون على كل شيء حسب ظواهره فقط - يزدرون بالإخوة الأعفاء بسبب هذه الممارسات ويقولون لهم : « أحقاً سوف يطرحكم الله في جهنم بسبب إهمالكم هذه الأمور؟ » ، أو « هل هي سترفعكم فعلاً إلى السماء إذا حافظتم عليها ؟ » . كما ويعتبرون الذين يتمسّكون بها « أميين » و « مرائين » . أما نحن الذين نعرف ما يتولد في نفوسنا نتيجة لحفظها ، فعلينا أن نعتني بتتميمها بفرح ؛ ولأننا ندرك المنفعة التي تحصل لنا من ذلك ، فلتكن مسرتنا في مراعاة تكميل أعمالنا من أجل الله بكل اهتمام ؛ وفي جميع الأعمال التي نفعلها من أجل اسمه القدوس ليتنا ننتظر مترجين الخيرات التي تأتينا من عنده حتى في هذا العالم الحاضر .

١٦ - قيمة الأعمال الصغيرة :

إذا كان الجلوس في القلاية فقط ببطالة بغير عمل

وحفظ حيطان القلاية من أجل المسيح هو رجاء عظيم، حسب قول أحد الآباء، فكم بالأكثر إذا ما كان الإنسان يظهر اهتمامه بهذه الأعمال فى نفسه من أجل تذكار الله الدائم!

لا ينبغى يا أخى، أن نزعم حقيقة أنه لا يطلب منا هذه الأعمال الطفيفة، بل الأحرى بنا أن نتعجب من حقيقة أنه حين نهتم بتقديمها فإنه يرفعنا بواسطتها إلى الأمور العظيمة. إن ما نكتشفه عن طريق هذه الممارسات الصغيرة هو أعظم وأمجد منها بقدر ما تكون النار أعظم من الحديد والصوان اللذين تصدر منهما.

إننا بواسطة هذه الأعمال نُحفظ من السُبل الدقيقة التى تقود إلى الشر نتيجة للإهمال، بل وأيضاً نُرفع عن طريقها إلى الأمور الفائقة.

كذلك فإن التأمُّل المستمر فى هذه الأمور التافهة الدقيقة يلد فينا التأمُّل فى الله، ومن خلال هذا التأمُّل العادى نجد أنفسنا أحياناً فى حديث واضح معه، وتمتلئ أعيننا بالدموع وتبتهج نفوسنا أشد الابتهاج؛ وفى أحيان أخرى نجد أنفسنا كما لو كنا واقفين فى قيامة الأبرار، ويقع علينا دهش بينما يجتذبنا التأمُّل من هذا العالم ومن هذه الحياة ومن تذكارات الاهتمامات الأرضية إلى الاتحاد

بالله بذلك الاتحاد الذى يفوق العالم . وبهذه الكيفية يولد الحب فى نفوسنا كنتيجة للتأمل الدائم والحديث المستمر معه ؛ وبالحب نختلط مع الله كل لحظة ونمتزج حياتنا بروحه ، بينما نتطلع إلى التدبير الآتى .

والإنسان الذى يُحسب أهلاً للتأمل فى الله يُحسب أيضاً أهلاً للتعجب الدائم بالله .

١٧ـ نوع القراءة المناسب :

انتفع من القراءة ، ليس من تلك التى تقودنا إلى اقتناء سائر أنواع المعارف ، بل من تلك التى تميت أوجاعك وتُظهر لك الطريق القصير القاطع الذى يقود إلى الله ، وترفعك بسرعة وبدون أى تعويق إلى الخدمة المضيئة والموضع الذى يتطلع إليه تدبير الوحدة . وأعنى ذلك النوع من القراءة التى لا يكون فيها تشويش حيث تنتقل من موضوع إلى آخر ، وتقدم لك أحياناً أموراً ضارة تعكر صفاء هذيذك الروحى الذى هو أعلى من العالم .

فلا تقرأ شيئاً يتعلق بالأمور المألوفة لك ولعامة الناس على السواء ، أو مما يصلح للتعليم العام للجميع بمساواة ، أو ذلك النوع الذى ينمى فيك القدرة على المجادلة والتدرب على حكمة هذا العالم ، أو النوع الذى يخبرك عن القضايا والمنازعات التى حدثت فى الكنيسة ، أو عن قوانين وأوامر الملوك

وسيرهم وانتصاراتهم ، أو من المجادلات والردود على الجماعات المعارضة .

فلنترك كل قراءة من هذه الأنواع وننصرف إلى القراءة الصحيحة ، طالما أننا فى مرضنا ينبغى أن نستفيد من الأدوية - فنهتم بالمواضيع التى جُمعت بعناية من أجل شفاء أوجاعنا . وسير المقدسين الذين عاشوا قبلنا وتدبَّروا فى الوحدة بسيرة أعلى من العالم ، ونتعرَّف على الإعلانات والرؤى التى عاينوها ، والتعليم الذى تقبَّلوه من الله فيما يخص تدبير الوحدة ، والأتعاب والحروب التى قابلتهم من أجل تعليمهم ومن أجل منفعة الذين يقتفون إثر خطواتهم ، وفيما يخص سائر أنواع النصرة والهزيمة والقيام والسقوط التى احتملوها . وباختصار ليتنا نشغل أنفسنا بالكتب التى تختص بالسيرة الرهبانية وحدها ، والتى تشرح نظامها وتدبيرها الخارجى .

إنه حتى الخبز الذى هو طعام مُغذٍّ ، لا يفيد المعدة المريضة ، وغالباً ما تُصلح بواسطة أطعمة أخرى وبالأدوية . ليس هذا لأن الخبز هو بغير منفعة ، بل لأن المعدة التى تتلقاه مريضة . فكل شئ حسن فى مكانه الخاص . أمَّا لنا فليس كل شئ نافعاً .

أمَّا الإنسان الذى - قبل أن يقتنى سلطة على أفكاره ويضبط عقله من التشتُّت إذ تكون حواسه مازالت

مريضة وضميره ضعيفاً ـ يستعمل القراءة التى تجعله متثقفاً ومتعلماً ومفسراً غنياً فى الأفكار ، بينما هو فى حقيقة الأمر خاضعٌ للأوجاع ؛ مثل هذا الإنسان يكون قد جُرح بشهوة الافتخار وبالجهل .

ترى أية معرفة أكثر سمواً من النقاوة ؟ فالنقاوة تكشف لعقلك كل شئ شريطة أن يكون كل اهتمامك أن تقتنيها وتحافظ عليها ، وهى سوف تقرّبك من موهبة التاؤريا الإلهية .

١٨ ـ ماهو الذى ينبغى أن نركّز عليه ؟

اجتهد أن تدرس كل شئ يجعل هذا العالم الحاضر مزدرى أمام عينيك ، وكل شئ يُسلّحك بالحكمة مقابل الشياطين الذين يطلبون هلاك نفسك ، وكل ما من شأنه أن يؤهّلك لاستنارة الأفكار وللترقّب الدائم للرحيل عن الجسد ، كما وتخلّصك من الشهوات بواسطة تذكار العالم الآتى ومداومة التأمّل فيه .

اجتهد أن تُحرّر عقلك من تذكار الشهوات لكى تهيّئ فى نفسك مكاناً لأمور الله الجيدة التى تُستعلن فيها ، لكى ما يستغنى قلبك بكل غنى روحى وتأسرك محبة الله كل حين .

من خلال العجب من الإعلانات الإلهية يسكر الأتقياء بمحبة الله . وحقاً قال أحد الآباء إن النفوس التى داومت التطلّع إليه نست أماكن سكناها . يقول ذلك عن تلك الرؤى

التى تسكر النفس بتذكارها. وقد قال أحد الآباء القديسين لابسى الإلـه : " الرؤيا تلد المحبة ، وتوجد هذه الرؤيا من خلال النقاوة حسب وعد ربنا ".

والنقاوة ليست هى شئ يُجمع بالاستزادة من المعرفة فى شتى المجالات أو من كثرة الدراسة لأمور متنوعة ، ولكنها تنشأ من عملية تطهير الفكر من شوائب تذكارات أمور العالم غير اللائقة ، ومن مداومة الهذيذ فى عمل السكون. ضار جداً بالنقاوة الانشغال بكثرة الأفكار وزحمة تذكارات الآراء الجديدة التى تتولد من البحوث والدراسات المتنوعة التى تقود النفس إلى التشتت .

لاتهمل ماهو ثمين وقيم إذ تزج بنفسك فى الأمور التى لاتنفع إلا للافتخار . ليس هدفنا هو أن نعرف أموراً كثيرة ، بل أن تشبع المعرفة نفسها من سيرتنا . إننى فيما أقول ذلك لست أمدح الأمية ، لكننى إنما أود أن أحذر من الأمور الزائدة التى لاتشكل حاجة مُلحة فى سيرتنا ، لأن طلب مثل هذه الأمور يعوق اهتمامنا بالنقاوة .

تفطن فى مرضك واستعمل الأدوية اللازمة للشفاء منه . كن مدركاً لما تحتاجه لرحلتك وجهز الزاد اللازم لها . تفطن فى الجهاد الموضوع أمامك ، وتعلم المهارة اللازمة له . كن حكيماً فى تدبيرك ، واطلب لك مرشدين تتعلم منهم .

حتى ولو كان معلّموك مستنيرين جداً ، فإن عصاك ينبغي أن تكون في يدك دائماً : فلا تدخل البحر بغير عصا ، ولا تمشِ في الضباب المظلم بغير عكاز ، لأنك بها تطرد الكلاب وتسحق الحيّات ، وبها تتحسس البحر وتتخلّص من الوحوش المفترسة . يوحنا المغبوط يدعوها "عكاز الضعيف" توكأ عليها وأنت لا تسقط أبداً ، فإنه ليس معين مثل الله ، والذين يقرعون باجتهاد ومثابرة ينالون كل شيء .

لهوبي لمن يتذكّر أينما وُجِدَ أن لا يُهمل أبداً هذين الأمرين : الصلاة الدائمة ، وتذكار الله الدائم . فالذي يصلّي بمداومة يثبت في تذكار الله ، والذي يداوم تذكار الله يصير مسكن الروح . التأمّل في الله هو صلاة ، والذهن الذي تتحرّك فيه دائماً حركات التأمّل في الله هو ذهن مداوم على الصلاة ، ولا يوجد لحظة واحدة فارغاً منها .

١٩ - الصلاة :

الصلاة ليست هي مجرد تلاوة كلمات فقط ، بل هي أيضاً حركات إلهية تنبع من أعماق القلب . ونتيجة الهذيذ الدائم بالله يعرض للذهن أحياناً أن يحدق فيه كما لو كان في عجب مذهل ، وتتحد حركاته بالروح وينظر إليه عن قرب بكيفية تفوق الوصف . لهوبي للإنسان الذي يمكث دائماً عند بابه دون خزي !

لا تتكل على معرفتك لئلا تترك لأيدى الشياطين فيجتذبونك فى مصائد خداعهم، حيث يملأونك فزعاً وتصير مرتبكاً تماماً لا تدرك أين أنت.

لا تشرع فى المسير قبل أن تصلى، وخصوصاً فى الطرق غير المعروفة. لا تدع فمك يكف عن التضرع، والصق بتضرعك الاعتراف بضعفك وجهلك، لكى تحمل بالرحمة على الأقل من أجل اتضاعك حتى ولو كنت غير مستحق. عند نقص العمل الحقيقى يصير الاتضاع والاعتراف مقبولين عند الله عوضاً عنه، كما أن الإنسان الذى يظهر نفسه متواضعاً ينال أجراً حتى عن الأعمال التى لم يستطع القيام بها.

٢٠- الاتضاع:

محبوب عند الله هو الإنسان الذى يثبت فى الاتضاع بسبب عجزه عن تكميل العمل المطلوب منه، أكثر من الذى يظن أنه يتفضل على بسبب كثرة أعماله. أما الإنسان الذى يقتنى العمل والاتضاع كليهما فهو قد غرس فى نفسه كوكبين نيرين، وهو يبهج نفسه بهما ويُفرح الله بهما كل حين.

عندما ينقص العمل فإن تفوق الاتضاع يسد نقصه. قوة الاتضاع المهيمنة على النفس تظهر فى شقاء الأعمال الاختيارية التى تحتملها فى صورة تذكر الخطايا التى سبق

فعلها؛ وبغير هذه الأعمال يكون من الصعب عليها أن تتوب من الخطايا اليومية أو تحظى بالغفران عن المعاصي السالفة. حتى إذا لم تكن لنا أعمال فإننا نتمكن من الإحساس بالندم في قلبنا، ومن مداومة تذكار خطايانا بانسحاق أمام الله، ومن اللطف والسلام نحو الآخرين مقدمين كل واحد في الكرامة، ومن انجماعنا إلى نفوسنا، ومن الالتزام بعدم الضحك أو الهزار، ومن الكلام الجيد لكل أحد، ومن اقتناء الشكر في قلبنا وقت التجارب، ومن الصمت بحكمة مع ترتيب الأعضاء، ومن التفطن في أننا مائتون على كل حال وأننا سوف نرحل عن هذا العالم. وكل هذه الأمور لا تحتاج إلى أعمال الجسد ولكنها تكون زينة العقل.

فإذا كان أحد يهمل أن يقتني في نفسه حتى هذه الأمور التي لا تتطلب أعمال الجسد ولا تعتمد على قوته بل ويمكن أيضاً أن تُقتنى في حالة الضعف - فمثل هذا الشخص يكون قد أسلم نفسه تماماً للغفلة ويُعتبر بعدلٍ مستحقاً للوم من قِبَلِ الله.

إن الله لا يطلب منا الخدمة المطوّلة بقدر ما يطلب جودة الإرادة؛ والنفس الفاضلة لا تلقى قبولاً عند الله بسبب الأعمال ولكن من أجل الإرادة الفاضلة التي تتجه إليه والقلب المفعم دائماً بالانسحاق. وبالمثل فإنه لا يتخلى

عن النفس الخالصة نتيجة موازنة أعمالها؛ لأن الأعمال عادة ما تتوقف لأسباب متنوعة، كما أن أعمالا كثيرة جيدة ورديئة تُعمل دون تدخُّل الإرادة. ولكن الله ينظر إلى اشتياق الإرادة ليرى ما الذى تجد مسرتها فيه. وهكذا فإن فضيلة النفس حتى بدون أعمال تكفى عندما تكون إمكانية العمل غير متوفرة. كما يقول المفسِّر: "إنه من الواضح أن ربنا فى إعطائه وصاياه يُركِّز كثيراً على إرادة النفس أكثر من أعمالها". وفى موضع آخر يقول، كما لو كان عن شخص ربنا مستعيراً كلماته: "إننى أطلب الإرادة فى الوقت الذى فيه لا أتحص ما يخص الأعمال؛ فإنه يكفينى أن تكون النفس متمسِّكة بالفضيلة بإرادة صادقة. فالذين هم تحت ناموس موسى يفحصون الأعمال وتتنجس ضمائرهم بسبب كل أنواع التعديات حتى الصغيرة جداً، أما الذين ينتمون إلى شريعتى، فحتى لو أنهم قد يخطئون - بما أنهم بشر - فهم حين يعرفون أنهم يختارون فى ضميرهم ما هو صالح، يعيشون فى فرح".

٢١- إنكار الذات:

إننى لست فى حاجة أن أُذكِّرك بإنكار الذات. فليس هو قصدى أن أتكلَّم عن كل شئ، وليس الأمر كما لو كنت أتكلَّم إلى شخص لا يعرف الأسفار المقدَّسة فإنك تُدرك جيداً أنه بدون التجرُّد لا يمكن أن يبلغ تدبيرنا هذا إلى

الكمال ، لأنه لطريق الفقر . ومن الواضح أن الإنسان الذى لايمتلك إيماناً بالله فى الأمور المرئية هو بعيد تماماً بقلبه من رجاء الآتيات مثل الأمور الأخرى التى لايمكن للقلب أن يحس بحقيقتها إلا بالإيمان فقط - وهى الأمور عينها التى يتركز هدف كلامنا منذ البداية حتى الآن فى إظهارها : إنه بالرجاء تكمل سيرتنا هذه. وكما هو مكتوب فإنه ليس بإمكان أحد وهو يحمل ثقل أشياء أرضية أن يرتفع نحو السماء . لأن المربوط بمشاغل هذا العالم لايستطيع أن يرضى مَنْ اختاره. ولكننى سوف أذكرك فقط بما هو ضرورى

إن كنتَ قد اخترتَ أن تقتنى الفضيلة ، فلا تسمح أبداً لنفسك أن تشاهد وجه امرأة أو تمشى بالقرب منها. هذه التذكارات هى مضادة لسيرتنا ، لأنك متوجّد وينبغى أن تسمو بعقلك فوق كل شئ خاضع للفساد . فإذا كان مجرّد تذكار النساء يزعج العقل فكم بالأكثر تكون مشاهدتهن أو سماع صوت كلامهن . لا تتكل على كبر السن أو فضيلة عقلك ، ليس لأنه بغير ذلك يسهل انخلابك ولكن لأن هذا تدريب نافع ، لأنه لا ينبغى أن نطلب تجربة ما اختبره كثيرون قبلنا . أمّا أنت فاجلس فى قلايتك واهتم بخلاص نفسك منتظراً باشتياق ساعة رحيلك من هذا العالم مثل إنسان تحقّق فى نفسه أنه مائت "حقّاً" .

٢٢ـ لا تدين الآخرين :

احترس من أن تفكر في أي شئ أو تنظر إلى أي إنسان كأنه ردئ. لأنك في فرصة أخرى قد ترى الأمر مختلفاً تماماً بالنسبة للشخص الذي تراه الآن رديئاً. ولهذا لا تتبع الأفكار التي تُظهر لك الأمور كما يحلو لها. أمّا إذا وُجدت المحبة فهي أيضاً تستر أخطاء الآخرين (بط ٤ : ٨)، بينما غياب المحبة ينشأ من ظلمة النفس.

إن كان أحد لا يحب قريبه ويقول إنه يحب الله، فهو يكون قد ضل تماماً في نفسه دون أن يدري. ولا يوجد شئ يغضب الله أو يكون مرذولاً أمامه مثل أن يكون الإنسان جالساً في قلايته يفكر في قريبه ويجعل قلايته قاعة محكمة يقيم فيها نفسه قاضياً يحكم على نقائص الآخرين. ومع ذلك يعتبر نفسه تائباً ويصلي قائلاً: « اغفر لي كما قد غفرتُ أنا » !

فإن كان الشخص الذي يحكم على الذين يخطئون ضدّه يجلب على نفسه دينونة عظيمة أمام عدل الله، فماذا يحدث لنا نحن حين نحكم على أعمالٍ بعيدة عنّا ؟ فإذا كنتَ لا تستطيع أن تحتمل النظر أو تطيق أن تصبر في فكرك مقابل نقائص وضعفات الآخرين، فامضِ إلى موضع آخر. وإلاّ فكيف تظن أنه بإمكانك أن ترى كل إنسان

صالحاً بينما نحن لا نمتلك السكون ؟

كن مسالماً ومتواضعاً لكي ما تقتني شفقة على كل أحد. الظروف الخارجية تظهر بأوجه متنوعة تتناسب مع نشاط القلب إن كان مُوجَّهاً نحو ما هو خير أو نحو الشهوات. لا تكن موبخاً أو مبكتاً لأي إنسان، ولا محتداً ومضطرباً في نفسك. فالإنسان الذي يكون عقله دائماً في حالٍ من الاحتداد والانفعال تجاه رفيقه لا يمكن أن يصير أهلاً لذلك السلام الروحاني الذي تتحرك فيه الأفهام عن لطف الله تجاه العالمين. الاحتداد ينشأ في الإنسان نتيجة لتشتت العقل، حين يكون قد سُمح له أن يتحول مُتفحصاً أعمال كل أحد كسفينة بغير ربان.

الإنسان الذي يتشتت عقله ويمتلئ غيرة على شرور الناس لا يكون بمقدوره أن يصير مائتاً للعالم.

والإنسان تتملكه الغيرة دائماً على سيرة الآخرين عن طريقين مختلفين: إما عن الكبرياء أو من العناوة. خارجاً عن هاتين العلتين لا يكون هناك مجال للإنسان أن يمتلئ غيرة؛ وذلك إما لأن نقائصه الخاصة تكون أقل من نظره من نقائص الآخرين - بل وربما يظن أنه لا توجد عنده نقائص بالمرة! - ونتيجة لذلك تجده يعتقد في نفسه أنه قادر أن يجتذب الجميع إلى الحق، أو أنه يتصور أنه

حين يكره الخطايا يصبح صديقاً لله - وهذا تفكير في منتهى الغباء وغريب كلية عن كل معرفة حقيقية بالله، لأنه لا

أن القديسين كانوا يقبلون كل أنواع الميتات من أجل أناس أشرار وقتلة لكى ما يجتذبوهم إلى طريق الله بواسطة المحبة .

إن الذين يدركون قصد الله ، وقد حسبوا أهلاً لمعرفة مشيئته تماماً ، ويرتضون أن يموتوا من أجل الخطاة على مثال ابن الله .

صلاة :

أيها المسيح إلهنا ، الذى فرح رجائه العظيم يفوق جداً على فكر الإنسان ، اغرس رجاءك فى أفكارى لكى بيقينى فيك يتحرَّر عقلى من التطلُّع إلى الأمور الأرضية. إنه من غير المستطاع يارب ، أن يتخلص العقل من التشتُّت فى الأرضيات ما لم تجتذبه أنت إليك . ولا يمكن أن يرى أحداً شريراً مالم يكن قد تغرَّب كلية عن معرفة رجائك ، إذ تكون رؤيته منحصرة كالبهيمة على الأرض .

اجعلنى أهلاً يارب ، أن أكون ميتاً من كل شئ ، وفى هذه الميتوتة من كل شئ ليتنى أُحسب أهلاً للإيقان بسرّ الحياة الجديدة .

إن الذين يعيشون لهذا العالم لم يوجدوا أبداً أهلاً لإدراك تلك المعرفة، فالذين أدركوها هم فقط الذين صاروا أمواتاً طول عمرهم من أجل الرجاء الحقيقي المحفوظ لهم، مقدمين لله صلواتهم بدموع كل حين، وهم يتضرعون بمحبة شديدة أن يحرم أحد من جنس البشر من هذه البهجة.

هذا هو أسلوب تفكير القديسين، وهذا هو سبب الألم الذي يغشى أذهانهم دائماً، وهذه هي أيضاً صلاتهم التي يرفعونها إلى الله كل حين. وبهذه الإرادة يقبلون من غنى كنوز الله العطية التي لا يمكن أن يُقارَن بها العالم. طوبى للإنسان الذي يعرف ماذا يولد من المحبة تجاه الناس، وإلى أي علو ترفع الشفقة النفس!

٢٣ - الحاجة إلى الصلاة النقية:

اهتم بهذه الأمور، يا أخي، وأنت تحيا حياة الملائكة في جسد مائت. ينبغي أيضاً أن تعرف هذا: إن المبدأ الأساسي لكل صلاح بالنسبة لرجل الله في هذه الحياة هو الصلاة النقية. ومالم يمت الإنسان عن كل كائن بشري ويلازم السكون مع نفسه دائماً مثل مائت في قبر، فإنه لا يستطيع أن يقتني هذه الصلاة النقية نظراً لأنها تتطلب تفرغاً كاملاً من كل شيء آخر لكي يمكنه عن طريق ذلك أن يقف أمام الله بطهارة وبدون تشتت وقت الصلاة، وقد

انجمع عقله إلى ذاته من كل جهة ، وأصبح يحدق فى الله وحده فى هدوء حركاته ، فيستضئ بتذكار عظمته ويرفعه الله إلى مجد جلاله . وبتذكار أعمال نعمته نحو جنس الكائنات العقلية يطوف على الأرض فى دهش الفرح . ثم إنه أمام عظمة الله غير المدركة تمتلئ نفسه بكليتها بالتسبيح ، وتتحرك بحركات مقدسة بخوف وحب على مجد ألوهيته الذى يجعل ربوات الكائنات الروحية تمجد ولا تستطيع أن تتطلع إلى السحابة التى تغطى قدس أقداس خفيته . هو الذى أتى إلى الوجود بعوالم لا تعد وطبائع بلا حد ؛ وهو الذى خلق من العدم جيوشاً لا تحصى من الملائكة . وإذ هو ساكن فى ذاته حيث لم يكن هناك أحد يدفعه - إذ لم يكن ثمة موجود غيره - سرت مشيئته من تلقاء ذاته وبنعمته أن يأتى بالعوالم إلى الوجود لكى ما تدركه ، وجبل الخليقة بنعمته جاعلاً إيانا نحن بنى البشر - ونحن تراب من الأرض - مستحقين لتمجيده . لأنه بقدرته الخالقة رفعنا إلى درجة النطقية لكى ما نقف ونتكلم فى حضرته بالصلاة ، حتى نصير فى ذهننا شركاء فى مجد طبيعته الإلهية - إن كان تدبيرنا يستحق ذلك - وحتى نضاهى ونحن على الأرض مثال غير المتجسدين .

فلأن كل هذه الخيرات وهذه العظمة تحصل لنا من السهر والنقاوة - حيث إن السهر هو أيضاً سبب النقاوة -

فلنداوم السكون ، ولنجعل أنفسنا مائتين عن كل أحد، ولنجمع أفكارنا كل حين من التشتت ،وبواسطة هذه التذكارات يمكننا أن نسترد ذهننا وقت الصلاة والخدمة بغير تعب ونرفعها إلى الله بكل يقظة وانتباه .

فلنظهر اشتياقنا لاقتناء معرفة الله بتضرعنا الدائم إليه ، ولنكن فى وقت الصلاة راغبين ومترقبين أن نتقبل الإحساس به فى نفوسنا . لأنه من الواضح أنه إذا أظهرنا اشتياقنا واهتمامنا بهذا الأمر، معتنين بما هو لائق ، فإن الله الصالح الرحوم لن يخزينا ، بما أنه هو نفسه الذى أعطانا كل هذه الخيرات من تلقاء ذاته .

٤٢- نماذج من الصلوات :

إننى أريد الآن أن أضع أمامك بضع صلوات قليلة ثم أختتم رسالتى . وقد رأيت أنه من الضرورى أن أرفق هذه الصلوات بها لكى ما تزودكم بمادة للصلاة وبواسطة المعانى التى تحتويها يقتنى العقل الاتضاع ويظل بعيداً عن التشتت الفارغ ، وذلك من خلال مشاعر الانسحاق التى تشتمل عليها . فعندما تأكل أو تشرب ، وأنت واقف أو جالس أو ذاهب لتنام ، أو كنت تعمل أى شئ - حتى حين تكون سائراً فى الطريق أو موجوداً وسط أناس كثيرين - ينبغى عليك أن تشغل نفسك فى أعماق قلبك بكلمات هذه

الصلوات التى أسطرها لك . وهى أيضاً تصلح للصلاة بها أثناء السجود . وعند الانتهاء من الصلوات المحدَّدة ، إذا أردت أن تتثبت فى تضرعك استمر فى الصلاة بها . فبكل نوع من الحركات يتيقَّظ ذهنك كى يحدق فى الله وقت الصلاة حين ترفق بها هذه الصلوات .

٢٥- صلوات :

يا الله ، اجعلنى أهلاً أن أصير مدركاً للرجاء المحفوظ للأبرار وقت مجيئك ، حين تأتى فى جسدنا لكى تعلن مجدك للعالمين .

يا الله ، يامَنْ أظهرت حبك للعالم ولو أنه لم يتعرَّف عليك ، وأعلنت ذاتك جزئياً للأبرار عبر الأجيال من خلال تلمسجات الرؤى ، أعد الحياة لحركاتى المائتة حتى تشعر بك . لكى ما أسرع بالمجئ إليك ولا أنظر إلى تلك الساعة التى يضع فيها الموت حدّاً لمسيرة حياتى فى مرفأ السكوت .

أيها المسيح إلهنا ، ميناء المراحم ، يامَنْ أظهرت ذاتك وسط جيل خاطئ ، يامَنْ انتظرك الصديقون فى أجيالهم العديدة ، ثم أتيتَ إلينا فى ملء زمانك لتفرِّح الخليقة جمعاء . امنحنى عيناً أخرى وأذناً أخرى وقلباً آخر كى عوضاً عن العالم أرى وأسمع وأدرك تلك الأشياء المحفوظة عندك لحين استعلان مجدك لجنس المسيحيين

من خلال ذلك النظر والسمع والإدراك الأعلى من الحواس العادية .

حرِّك فى داخلى يارب، مذاقة الإحساس بك كى أحسب أهلاً للعبور من هذا العالم إليك ، لأن العالم قد أسرنى بملذاته وأبعدنى عنك . فطالما كانت عيناى تبتهجان لرؤية الأشياء القابلة للفساد ، وعقلى يقتنى فهماً حسياً ومادياً ، فإنه لا يكون بمقدورى أن أتحرَّر تماماً من تلك المشاعر الضعيفة الخاضعة للفساد التى تنشأ عنها .

اجعلنى أهلاً يارب، أن أقتنى تلك الرؤيا التى لا يكون للفساد أى أثر عليها ، حتى إذا ما اقتنيتها وسموت عن العالم وعن نفسى، تزول من قدّام عينىَّ كل الصور الحسية.

أنت يارب ، مسرَّة جنسنا البشرى ، وتعزية حالتنا المعدمة ، وسند حقارة طبيعتنا البشرية التى ترنَّحت وسقطت، ورجاء المحرومين ، والاسم الممجَّد الذى أستعلن لبنى البشر: هبنى نهوضاً من سقطتى وقيامة من موتى ؛ حرِّك فىَّ إحساساً بالحياة ، وأخرج نفسى من سجن الجهل لكى ما أسبِّح اسمك . انفخ فى أعضائى نسمة الحياة الجديدة ، افتقد حالتى التى فسدت فى القبر، وأخرجنى من موضع الظلمة . ليت نور استعلانك يفتقدنى فى هاوية الجهل . الطبيعة البشرية التى وهبتها النطق أصبحت صامتة فىَّ : ليتك يارب ، تردها مرّة

أخرى إلى حيويتها الطبيعية ؛ لأنه ليس فى الموت مَنْ يذكرك ولا فى الجحيم مَنْ يحمد اسمك . ليس لى لسان ينطق اسمك . ولكن ليت الأحياء مثلى اليوم يحمدونك .

قد خرستْ حواسى ، وسكتتْ حركات قلبى ، وجفَّت الأفكار ، وصار عمل الطبيعة البشرية فىَّ مفتقراً إلى الحياة الحقيقية : ليس فىَّ أى تذكارك ، ولا أى تسبيح لاسمك فى الهاوية التى أسكن فيها . ليست هناك أصوات التمجيد المبهجة فى نفسى الضائعة ، وكل أعضائى المائتة هى فى انتظار مخاض القيامة . وليس مَنْ يأتى إلىَّ فى قفر الهاوية .

إلهى . هبنى أن أسمع صوتك الذى يقيم الكل بطريقة خفية ، حقِّق فىَّ مثال لعازر حبيبك . أنا أعلم يارب أننى لم أكن أبداً صديقاً مخلصاً لك ، ولكنى أنتمى إلى قطيعك ، وقد اختطفنى عدوى وأذلَّ فى الأرض حياتى . يا إلهى ، اجعلنى أهلاً أن أحظى بنصيب فى المجد الذى أعددته لأحبائك فى العالم الجديد ، وفى إدراك معرفة حبك والاتحاد الذى لا يفترق وربائط المحبة الذى لا ينحلّ الذى يأتى من التأمل الدائم فيك . يارب ، لا تمنع عنى أعمال نعمتك ، ولا تحرمنى من معرفتك المملوءة رجاء .

يارب ، نجنى من ظلمة النفس . أيها الإله المتحنن ، امنحنى فرح الرجاء ، اغرس رجاءك فى أفكارى ، واجعلنى

أهلاً لتحتك عند إشراق إعلانك من السماء. يارب، لا تسمح أن أكون مطلوباً للدينونة من أجل معاصيّ الكثيرة حين تأتي في مجدك العظيم.

أنت يارب، بنعمتك أتيت بي إلى الوجود، وبنعمتك سوف تؤهّل جسدي للقيامة؛ ليت قيامتي من التراب لا تكون للدينونة والخزي. ليتني لا أنهض من نوم الموت لأواجه الدينونة والحرمان منك؛ بل أقمني يارب من التراب للفرح والبهجة، وللمجد الذي كان في قصدك منذ البدء أن تحضر الكائنات الناطقة المخلوقة إليه لمّا جبلتهم.

أنت يارب، لم تخلقني لجهنم، فلا تسمح أن أكون آنية للهلاك، لأن الهلاك هو من نصيب مَنْ يُحرم كلية من نظرتك المفرحة يارب.

اجعلني أهلاً يارب، أن أكتشف تفسير ذلك الرجاء الذي من أجله صوّرتني في مشيئتك من البدء، لكن أعاين مجدك الأبدي، لأنك أنت الذي - من قبل أن توجد - أردت أن تأتي الخليقة إلى الوجود لكي تدرك عظمة مجدك.

٤٦ - ملاحظات أخيرة :

هذه هى الأمور التى ينبغى أن تطلبها فى صلاتك ، وهى المواضيع التى يجب أن تنشغل بها حين تصلى . اقتنِ اشتياقاً وتوجُّعاً ، قدِّم تضرُّعك بحرارة ، واجعل قلبك متقداً بحركات مثل هذه فى صلاتك ، إلى أن يتفجَّر لهيب حب الله فيك وترتفع حرارة شهوة محبته فى قلبك .

بمفاوضة مثل هذه ينجمع الذهن إلى نفسه فى بهجة ، وقليلاً قليلاً ينسى التشتُّت ويُبتلع بالأنهام ويتحرَّر من الصور . مثل هذا الإنسان يشعر بتوجُّع فى الصلاة ويغشى ذهنه التوجُّع ممتزجاً بالإيمان ، بينما يبتهج قلبه فى الله ويطفر من الفرح ويبتهج بالحب . ويمتلئ بالرجاء وينهض من النوم . بهذه المفاوضة التى تخص صلاة الفهم تمكث النفس وقت الصلاة فى ابتهاج عظيم .

أما عن الحركات المضيئة التى تولد فى الإنسان وقت التضرُّع ، فهذه تحدث نتيجة للاشتياق الشديد وكثرة هذيذ العقل والحديث المستمر فى الصلاة الذى يلزم الشخص دائماً فى تفكيره وانشغاله بهدف معيَّن لتضرُّعه .

نهاية الرسالة

+ + + + + + +

الميمر الثانى

من العلامة التى تدل على أن نور طبيعتنا الناطقة قد ابتدأ أن يصير مرئياً فى النفس

١- إن الصفة التى تتميَّز بها الخليقة الناطقة هى التسبيح الدائم لله . لأن النفس المخلوقة - التى هى عجيبة فى طبيعتها بهذا المقدار - قد خُلقت بواسطة جابلها ليس لأى غرض آخر سوى لكى تبتهج بمعرفة المجد الإلهى ، تماماً مثلما أن القوات غير المرئية - التى هى ذات قرابة للنفس - توجد فى حالة مستمرة من الفرح بمجد الكائن الكلى المجد .

٢- هكذا فإن النفس التى تكون منشغلة على الدوام بالتسابيح الإلهية ، تعيش فى حالة خلقتها الطبيعية : فإنه لهذا الغرض بالذات أتى الله بالخليقة إلى الوجود ، أعنى لكى ما تعرفه وتمجِّده ، وبهذا ترتفع إلى الفرح فى مجده الأبدى الذى لا يقدر أحد أن يصفه أو يعيه . لأن مجد الطبيعة الإلهية ينكشف للنفس بواسطة الهذيذ الدائم بتسبيح الله .

٣- كما أن خلقة هذا العالم بكل خصائصه كانت أيضاً لهذا الغرض عينه ، أعنى لكى يصير مجد الله معروفاً لفكر الكائنات الناطقة - وليس فقط لغرض الأكل والشرب والزواج ،

على الرغم من أنه قد يتراءى هكذا بالنسبة للكثيرين فى جهلهم.

٤- لقد كان الله قادراً تماماً أن يخلق جميع البشر على مثال الكائنات الروحية فى حالة لا تحتاج إلى التسلسل الواحد من الآخر، وأن يكونوا مثلهم بدون أى احتياج إلى الطعام فى عملية نموهم. ومن الواضح أن غاية هذه الخليقة لا تتوافق مع ما يُقال، لأن الكائنات البشرية لا تبقى مع هذه الأشياء عينها إلى الأبد، ولأن كل هذه الأشياء التى تُعتبر عظيمة وممتعة فى هذا العالم ستؤول إلى الفناء، وأن الله مزمع أن يقيم الإنسان فى نمط آخر من الحياة يُستعلن بواسطته للعالم الغرض الذى من أجله أراد الله أن يقود الخليقة أولاً فى هذه الحالة (الجسدانية). فلم يكن القصد أن يعطى كرامة خاصة لمستوى المعيشة الحيوانية، هذا بالإضافة إلى أنها تُحتقر عند الكثيرين هنا على الأرض. ولكن الإله الكلى الحكمة قد هيأ أولاً هذه الخليقة المنظورة لكى ما يبدأ الإنسان من خلال هذه الأمور المرئية أن يقترب من معرفة تلك الطبيعة الممجَّدة (قارن ١ كورنثوس ١٥: ٤٦؛ رومية ١: ٢٠).

٥- لأنه لا يليق بأى معلِّم يوصِّل المعرفة للتلاميذ أن يقود الدارسين منذ البداية إلى المعرفة الكاملة بالموضوع دون أن يكون أولاً قد درَّبهم جيداً على حروف ألف باء وعلى القراءة بصوت مسموع. كما أنه أمر رديء جداً أن يقدِّم

لهم الأمور السامية قبل أن ينتهوا من استيعاب المواضيع الأولية الأساسية . وأيضاً إذا أراد أحد أن يدعو أصحابه إلى الوليمة ، فهو يقدّم لهم أولاً الأطباق العادية الأقل قيمة ، ثم يقدّم بعد ذلك تدريجياً الأصناف الفاخرة الشهية التي تدعو للإعجاب بصنعتها

٦- على هذا المنوال أيضاً فإن الله رب الكل قد أعلن عن قدرة حكمته وحبه عن طريق مكونات هذا العالم المرئي ، الذي هو أقل قدراً بما لا يوصف مما سوف يُستعلن فيما بعد ، لأنه قد ادّخر للنهاية مجد ذلك النعيم والمنظر المذهل لذلك العالم العجيب الذي أُعدّ بواسطة قدرته الفائقة وحبه العميق ليصير إعلانه لنا أخيراً .

٧- لذلك فحسبما قلتُ إن النفس حينما تتحرّك نتيجة للحديث الدائم مع الله نحو التمتّع بالمجد الإلهي ، وتُسرّ بأن تبقى هناك بلا انقطاع ، فهي تصير مدركة - بنعمة الروح القدس - للمرتبة الخاصة التي سوف تتسربل بها في النهاية . إذ تكون قد أدركت ذلك من قبل كعربون بقدر ما تسمح به حدود الطبيعة البشرية الآن ، وقد حُسبت أهلاً لتدبير الحرية الحقيقية وتذوقتها كما لو كان في عربون .

+ + +
+ +
+

الميمر الرابع

للقديس مار إسحق : فصول رتبها بعد مقالات المعرفة ، تنفع كإشارات جلية توضح عملنا المكرم فى السكوت .

١- والآن . إذ قد أكملنا - بنعمة الله مخلصنا - هذه الفصول عن المعرفة ، التى تجد فيها قوة عظيمة ، كان من الواضح أن النعمة هى التى رتبتها ؛ فإن ضميرى يشهد لى أنها تحوى قوة فعالة لا يمكن أن تنسب إلى مقدرة بشرية ، وبالأحرى لكوننا مقصرين فى التدبير النسكى . وتعوزنا المعرفة التى تسمح لنا أن نسمو إلى علو الأسرار المكنوزة فى تلك الفصول. فإذ قد وصلنا إلى هذا الحد فيما كتبناه بمعونة ربنا ، فإن غايتنا الآن هى أن نورد أساليب الصلاة الخفية موزعة على مواضيع مختلفة ، ومرتبة على الحروف الأبجدية .

٢- وهذا أيضاً ما يجب أن تعرفه . يا أخى . أن الذهن الذى قد استنار ، لم يعد فى حاجة إلى كلمات الصلاة المتنوعة. يكفى أن ينفتح باب واحد للصلاة لكى يغوص الذهن داخل الصلاة ، ويُسمح له بالخلطة مع الله .

٣- تنوع أساليب الصلوات يساعد كثيراً الذهن الذى

يضمنه التشتت، لأنه منها وبواسطة القوة المتولدة عنها، يشعر بتأنيب الضمير، وهكذا يقتني الصلاة المبهجة والسجود لأوقات طويلة، والتشفع من أجل الخليقة، والابتهالات المتواترة التي تستمد حركتها من الداخل. وهذا يحدث له لأنه مع كل كلمة يلاقيها في هذه الصلوات، يكون مثل مَنْ نهض مِنْ نوم عميق، فهو يجد فيها على الدوام أنها ما زالت مذهلة. ولأن هذه الكلمات عينها هي عطية من النعمة، لذا فهي تمتلك قوة خفية. وهكذا يُعان الذهن من خلال انشغاله بها ومداومة تلاوتها.

٤- أثناء زيارات النعمة، حين تتمتع بهذه الصلاة المبهجة، وتلك السجدات الممتدة، لا تكون هناك ضرورة كبيرة تدعوك لأن تتوقف عنها لتؤدي قانون صلوات الساعات، أو تقلق من أجل تكميل تلاوة ما تبقى منها. لأن مثل هذه الصلاة قد احتوت داخلها جميع الصلوات التي تتلى بحسب الورد المحدد، وهي قد جعلت القوانين خاضعة لك. أليس من الواضح إذاً أن بقاءك منطرحاً على وجهك أمام الصليب أغلب اليوم - الذي يعتبر في حد ذاته صلاة تحتوي كل صلوات وخدمات الساعات داخلها - قد جعل القوانين خاضعة لك؟ فقد قيل: "إذا وانتك فرصة لعمل عظيم، لا تعد إلى ما هو أقل"[1].

---

(1) القديس مرقس الناسك: العمل الروحي ٩٠

٥- قال القديس مرقس هذا بقصد خفي؛ لأنه كان يعلم أنه ليس لكل إنسان أن يبلغ إلى الصلاة النقية، بينما أن الذين يبلغونها يتعلمون من مذاقة حلاوتها أنه ليس هناك عمل أعظم منها. فإذا حدث أن توقفت، فمن الأفضل أن لا تهمل تكميل قانونك. وإن كنت قد اقتنيتها جزئياً، فاهتم حينئذ بأن تحرص على تكميل قانون خدمتك فيما تبقى لك من وقت حتى آخر نسمة، ذلك لأنك سوف تستنير مرة أخرى كنتيجة لحرصك على تكميل قوانينك وتتقدم إلى الصلاة النقية الدائمة.

٦- كل ابن يعمل أولاً في عبودية لأبيه، ولكنه فيما بعد يعطى سلطاناً على كل كنوزه، كما قال بولس الرسول: "مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد، هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت الذي حدده أبوه" (غل ٤: ١-٢). فاجعل النواميس الإلهية وقوانين السيرة المقدسة تكون لك أوصياء ووكلاء يقودونك خلال مرحلة طفولتك (الروحية)، لأنها سوف تأتي بك إلى قياس إنسان كامل في المسيح.

٧- لأنه ما فضل النواميس والقوانين بدون الاستنارة التي تتولد منها في النفس؟ فإن هدفها هو أن يقوّم الإنسان نفسه بمعونتها كلما وجد نفسه في الظلام، سائراً في التيه، أي بمعونة صلوات الساعات والخدمة. فكما أن الإنسان إذا ضلّ

لطريقه يرجع إلى الوراء إلى بداية الطريق ، ويبدأ من هناك مرة ثانية ليتابع مسيرته إلى حيثما أراد ، هكذا أيضاً فإن النواميس والقوانين تضع على الطريق الصحيح كل من وجد نفسه في الظلام سائراً في التيه . فإذا لجأ ذلك الشخص إلى القوانين مرة أخرى فهي تردّه إلى السبيل الذي ضلّ عنه .

والآن ، ما هو ناموس البنين الذي يقود الإنسان إلى الحرية ويهبه النور ، وما هو ناموس العبيد الذي لا يسمح لهم بالتقدم ، والذي بواسطته يتعلم الإنسان بطريقة تليق بالأبناء الصغار ؟ كل هذا سوف نظهره في مكانه المناسب .

٨ ـ وينبغي أيضاً أن ندرك هذا : أنه طالما كان أحد ما يقسم أوقات اليوم ويخصص جزءاً للخدمة ، وجزءاً آخر للقراءة (في الكتاب المقدس) ، وجزءاً للصلاة ، وجزءاً للأعمال الأخرى ، فهو ملزم بالضرورة ، إذا ما حان الوقت المعين للصلاة ، أن يؤدي ما هو واجب عليه في وقته المحدد : فليس بإمكانه أن يعبر عليه دون أن يوفي دينه الواجب . لأنه من الضروري أن يتم ما هو مفروض عليه من قوانين خدمته ، كل خدمة في مكانها الصحيح ووقتها المحدد .

٩- وفى حالة ما إذا كان الشخص ملتصقاً بالله فى الانسكاب الدائم الذى يحدث فى الصلاة ، وهو ساجد باستمرار على الأرض ، مداوماً التضرُّع إليه ، ونفسه مبتلعة بالشوق ، بينما هو منطرح أمام الصليب ، فإن هذا الشخص لايكون بعد تحت أى ناموس أو قوانين خدمة ، ولا تكون للأوقات والفترات الزمنية المحددة أى سلطة عليه . فهو ، بالأحرى ، قد أصبح من تلك اللحظة أعلى منها ، إذ يكون (فى شركة دائمة) مع الله بلاحدود .

١٠- والآن ، دعنا نكف ونضع ختاماً لكلامنا . ولنقترب ونجد مسرة فى الحديث مع الله بالهذيذ بهذه الصلوات التى أنا مزمع أن أدونها ، لأننا بهذه الصلوات سوف نقتنى عطية التقديس والقوة السماوية التى تكشف الأسرار للنفس .

+ + +

+ +

+

الميمر الخامس

مقدمة :

أحاديث الصلاة الخفية ، لمار إسحق ، التي وضعها ورتبها وركبها من المشاعر والابتهالات ، وجعل منها كأعضاء مرتفعة معاً جسداً واحداً ، لتكون نافعة لهذيذ الصلاة الخفية . ويمكن للإنسان أن يهذّ بهذه الصلوات بينما يكون واقفاً أو جالساً ، فيما هو يعمل أو يمشي داخل قلايته ، وأثناء ذهابه لينام إلى أن يغلبه النوم . وعندما يكون في الداخل أو مسافراً في رحلة ، يشغل نفسه بها سرّاً في قلبه . وكذلك حين يكون راكعاً على الأرض ، أو أينما كان واقفاً ، حتى ولو لم يكن أمام الصليب ، إذ يمزج اتضاع جسده مع حركات صلاته ، لأنه بهذا سوف يجد منفعة مثلما يجد من تلك (الصلوات) التي حددها كقانون لنفسه ، ومن مصادر أخرى ، مع ما يعود عليه بالمنفعة منها مقابل حالة ذهنه المتغيرة وأوقات السلام والقلق التي تأتي عليه . فهو إذ يستفيد من هذه (الصلوات) التي رتبت على نحو ملائم لكي يجد فيها عزاء ، سوف تقتني نفسه التقديس بواسطتها وتمتلئ من نعمة الروح .

الصلوات :

١- فيما تنحنى نفسى إلى الأرض ،
أقدم لك بكل قلبى ،
وبجميع عظامى ،
السجود الذى يليق بك ،
أيها الإلـه الممجد ،
الساكن فى سكون لاينطق به .
أنت قد هيأت لتجديدى ،
مظلة من الحب على الأرض ،
حيث سررت أن تتاح ،
مظلة جبلت من جسـد ،
وهيأتها بزيت المسحة المقدسة ،
ثم ملأتها بحضورك المقدس ،
لكى تقام فيها خدمة عبادتك ،
مشيراً إلى السجود اللائق
للأقانيم الأزلية التى للثالوث الأقدس .
ومظهراً للعوالم التى خلقتها بنعمتك ،
سراً لا ينطق بـه .
قوة لاتـدرك ،
ولايستطيع أحد أن يفهمها
من أركان خليقتك التى أتيت بها إلى الوجود .

بالدهش والتعجب منه ،
تغوص الكائنات الملائكية فى الصمت ،
بالرهبة أمام الغمامة المظلمة التى لسرّه الأزلى ،
وأمام فيض البهاء ،
الذى يتدفق من داخل هذا المعجب المذهل ،
لأنه يتقبل السجود ،
فى بلد السكوت .
من كل عقل تقدس
وصار أهلاً لك .

٢- أطرح نفسى ،
يارب ،
عند موطئ قدميك ،
وعند يمينك المقدسة ،
التى جبلتنى وصنعتنى إنساناً
قادراً أن أشعر بك .
لكنى قد أخطأت وأثمت
فى نفسى وأمامك ،
لأننى تركت عنى الحديث المقدس معك ،
وصرفت أيامى فى الانشغال بالشهوات .
أتوسل إليك ، يارب ،
لاتحسب على خطايا شبابى ،

وجهالات شيخوختي
وضعف طبيعتي
التي ثقلت عليَّ جداً ،
وجعلتني أغرق في التفكير بأمور بغيضة ؛
بل حوِّل قلبي إليك ،
بعيداً من تشتت الشهوات المزعج ؛
وليسكن في نورك الخفي .
أعمال صلاحك نحوي لا تنتظر
أي إرادة من جانبي لأعمل الصلاح ،
ولا استعداد قلبي لاقتناء الفضيلة .
أنت لم تؤخر أبداً عنايتك بي
لكي تختبر حريتي إرادتي :
بل كما يعتني الأب بابنه الصغير ،
هكذا أنت أظهرت عظيم اهتمامك بي ؛
بتعطفك الأبوي افتقدت ضعفي ،
وما قصدت قط أن تمتحن إرادتي ،
لأنك تعلم دائماً أنني لست سوى طفل صغير
لا أعرف أين أنا مسافر .

٣- أتوسل إليك ، يا الله ،
أن ترسل معونتك من سماواتك العالية ،
لكي أبعد من قلبي ،

كل فكر شرير ،
وكل شهوة جسدية .
لا تطرحنى ، يارب ،
من حمايتك ،
لئلا يجد العدو المقاوم لى ،
ويدوسنى كما يشاء ،
ويهلكنى بالتمام .
أنت هو الذى تمنح التوبة وندم القلب ،
للخاطىء الذى يتوب ،
وبهذه الوسيلة ،
أنت ترجيح قلبه من ثقل الخطية التى أثقلت عليه ،
بفضل العزاء الذى يأتى من الحزن ،
ومن عطية الدموع .

٤- على باب تحننك ،
يارب ،
أنا أقرع ؛
أرسل معونة لحركات قلبى المستتة ،
التى سكرت من كثرة الأوجاع وقوة الظلمة .
ها أنت ترى ، يارب ، قروحى المخفية داخلى ،
حرّك فىّ الندم ،
ليس بحسب ثقل خطاياى ؛

لأننى لو أدركت ، يارب ، مقدار آثامى ،
لفنيت نفسى من الألم المرّ لأجلها .
ساعد حركات نفسى الضعيفة ،
فى طريق التوبة الحقيقية .
وليتنى أجد تفريجاً من عنف الخطايا ،
وبالندم الذى يأتينى من عطيتك ؛
لأننى بغير قوة نعمتك غير قادر تماماً
أن أدخل داخل نفسى ،
وأدرك خطاياى ،
لكى عندما أراها ،
يمكننى أن أحتفظ بالسكون
بعيداً عن كل تشتت .

٥- يا اسم يسوع ،
مفتاح كل العطايا ،
افتح لى باب مخازن كنوزك العظيمة
لكى أدخل وأقدم لك التمجيد
بالتسبيح الذى ينبع من القلب
مقابل جميع مراحمك
التى أدركتنى فى الأيام الأخيرة
لأنك أتيت وجددتنى
بمعرفة العالم الجديد .

٦- أقدم التمجيد لطبيعتك القدوسة ،
يارب ،
لأنك قد جعلت طبيعتي
قدساً لخفياتك ،
ومظلة لأسرارك ،
وموضعاً لسكناك ،
وهيكلاً مقدساً للاهوتك ؛
هذا الممسك بقضيب ملكك ؛
الذي يتسلط على كل ما أتيت به إلى الوجود ؛
الخيمة المجيدة التي لجلالك الأبدي ،
ومصدر التجديد لكل القوات النارية التي تحرسك ،
والطريق إلى معرفتك ،
والباب المؤدي إلى رؤيتك ،
والمدخر فيه كل كنوز قوتك وحكمتك العظيمة ،
يسوع المسيح ،
الابن الوحيد ، المولود من حضنك الأزلي ،
والبقية (التي أبقيتها لنا) من خليقتك
المرئية والروحية .

٧- أيها السرّ الذي هو أعلى من كل نطق ،
وأعلى من السكوت ،

---

(١) حرفياً : البقية التي جمعت من خليقتك (قارن : إش ٩٠:١ ؛ رو ٩ : ٢٧-٢٩).

الذى صار بشراً لكى يجددنا ،
لما اتحد بالجسد بحرية إرادته ،
اكشف لى الطريق ،
للسفر عبر سبيل واضح وهادئ ،
ومتحرر من اهتمامات هذا العالم .
اجمع عقلى إلى سكون الصلاة ،
لكيما تسكت داخلى جميع أفكارى الشاردة ،
أثناء التضرُّع إليك بالحديث المبهج ،
وبالعجب المملوء سرّاً .

٨- أطرح نفسى يارب
عند عرش جلالك ،
أنا التراب والرماد وحثالة البشرية .
ألوف ألوف الملائكة وقوات السارافيم
التى لا تحصى،
تقدم لطبيعتك القدوسة ،
المخفية عن حواس ومعرفة جميع المخلوقات ،
العبادة الروحية فى خفية طبيعتهم ،
بتسابيحهم النارية وحركاتهم المقدسة ؛
لأنك أنت ،يارب ، قريب جدّاً ،
وتُقدِّم معونتك للجميع فى أوقات الشدة ،
وبابك مفتوح فى وقت مناسب وغير مناسب

لتوسُّلات الكل .
أنت لا تأنف من الخطاة ،
وجلالك لا يشمئز من النفوس
التي اتسخت بكل أنواع الخطايا ؛
بل تجتذب كل واحد من الشرور التي بلا نهاية ،
بما فيهم أنا ، المتدنس بكليتي ،
إذ قد جعلتني أهلاً أن أنطرح على وجهي أمامك ،
وأعطيتني جراءة أن أنطق باسمك بفمي ،
رغم أنني إناء مملوء من كل الأدناس ،
وغير مستحق أن أحسب بين أبناء آدم .
امنحني ، يارب ، أن أتقدَّس بتسبيحك ،
وأتطهر بتذكارك ؛
جدد حياتي بتغيير ذهني ،
وبالأفكار النافعة التي تحركها فيّ بنعمتك ؛
كن مرشداً لعقلي في هذيذي بك ،
وهبني أن أنسى عثرات سلوكي ،
بتجديد ذهني الذي تبثه فيّ .
حرِّك في داخلي اشتياقات جادة مضطرمة ،
ولتكن إرادتي وفق مشيئتك ؛
لأنك أنت الذي تعطي الصلاة لكل من يصلي[1]

---

(1) (اصم ٩:٤) سبينية .

اغرس فى إرادة واحدة :
إرادة تتطلع إليك كل حين ،
واشتياق لا يضعف رجاؤه فيك
بالإماتات المستمرة من أجلك ،
امنحنى، يارب، ألّا تكون صلاتى أمامك
مجرد كلمات تنطقها الشفاه ؛
بل فلأكن منطرحاً على الأرض أمامك
فى اتضاع القلب الخفى وتوبة العقل.

٩- يا الله ، يا من بطول أناتك مقابل خطاياى .
تمنحنى حياة فى هذا العالم ،
لا تحرمنى من حياة العالم العتيد ،
الذى ينتظره برجاء ،
جميع الذين يتضرّعون إليك هنا فى شقاوتهم .

١٠- أيها المسيح إلهنا ،
الحب الإلهى الذى أفرز القديسين
من العائلة والأقرباء ومن حياة الترف البشرى ،
وقد سكنت فيهم قوة الأهواء الطبيعية ،
مقابل حلاوة هذا الحب ،
ليتك ، يارب ، تمنحنى أن أنكر حياتى
بشهوتك فيك ،

وليتنى أصير ميتاً جميع أيام حياتى
لكل الأشياء التى تلذ فى لذة هذا العالم ؛
وبقدرتك ، يارب ، تهدأ العواصف
التى تعمل فى أعضائى ؛
وليت حبك يفصلنى من العالم ومن الحديث معه .
ارسم فى ذهنى صورة غير مرئية ،
تبطل بواسطتها تذكارات لذة هذا العالم الحاضر
وجميع صورها (من قلبى) .

١١ - أركع قدام جلالك ، يا الله ،
وأسجد على الأرض أمامك ؛
لأنك دون أن أطلب ، بل وقبل أن أوجد ،
أتيت بى إلى الوجود ؛
وقبل أن تصورنى فى الحشا ،
عرفت أننى سوف أحيا
حياة مليئة بالاضطراب والنكوص ،
ومع ذلك لم تمتنع عن أن تخلقنى ،
وتهبنى كل الصفات التى كرمت بها الطبيعة البشرية ،
رغم أنك كنت تعرف شرورى مسبقاً .
أنت تعرف كل احتياجاتى قبل أن أعرفها أنا ،
وتعرف صلواتى قبل أن أصلى بها أمامك ؛
فهبنى ، يا إلهى ، فى هذه الساعة ،

كل ما تعرف أن طبيعتى البائسة تحتاج إليه
فى محنتها الحالية.
أنت تعرف كرب نفسى ،
وفى يديك يوجد شفاؤها .

١٢- أيها القدير ، الذى بقوتك انتصر الآباء الأقدمون
على هجمات المارد الشديدة المرعبة ،
وهم الذين ، رغم مشاركتهم فى الطبيعة البشرية
الخاضعة لضرورات كثيرة ،
كانوا مثل من ليست لهم حاجة لشئ ؛
وأظهروا على الأرض شبه الأمور العتيدة ،
بينما جعلت أنت ، يارب ،
من القبور والمغائر وشقوق الأرض التى عاشوا فيها ،
مظلة استعلانات لهم .
اسكب فى قلبى غيرة أفكارهم ،
لكيما أتشجع وأطأ الشهوة الطبيعية ،
وأطرح عنى كل خوف كل المقاومات المضادة .
اغرس فىّ معرفة التواضع ،
وهبنى حمية وعزماً ،
يليق بمتابعة المسيرة الصعبة إليك .
يا ملجأ الضعيف ،
والطريق المستقيم للذين ضلّوا السبيل ،

والمهرب لكل الذين أحاطت بهم العواصف :
أذلّ تجبّر المضاد وافتخاره علىّ ؛
أبطل قوة أفعاله الخبيثة ضدى ،
اخفض علوّ كبريائه .
سهّل سبلك الخفية أمام أفكاري،
وكن لى عزاء وقت الشدة ،ومرشداً فى المهالك.

١٣- ياشمس البر ،
الذى بواسطته رأى الأبرار نفوسهم ،
وصاروا مرآة لأجيالهم ،
افتح فى داخلى باب معرفتك ؛
وهبنى ذهناً مبتهجاً ،
يستطيع أن يبحر متخطياً صخور الخطأ ،
لكى أصل إلى ذلك الميناء الهادئ ،
كما فعل الآباء الذين أرضوك منذ القدم ،
بسيرتهم المستنيرة .

١٤- قدّسنى، يارب ، بأسرارك ،
أنر ذهنى بمعرفتك ،
واجعل رجاءك يشرق فى قلبى ،
واحسبنى أهلاً أن أتضرّع إليك من أجله.
يااللّه ، أبى ورب حياتى ،

أضئ مصباحك داخلى .
ضع فى ماهو لك ،
لكى أنسى ماهو لى .
اسكب علىّ هوة عجبك ،
لكى تنضبط بها قوة طبيعتى .
حرّك فى داخلى رؤية أسرارك ،
لكى أدرك ماحلّ بداخلى ،
فى المعمودية المقدسة .
لقد وضعت داخلى مرشداً ،
ليسته يكشف لى مجدك كل حين .
هيأنى لأكون نوراً وملجأً للعالم ،
ليتنى لا أصير عثرة لرفقائى .
وإذ قد تركت العالم ،
لا أعود أنظر إلى الوراء إليه أبداً .
ولا أتطلع إلى الأشياء التى طرحتها عنى ،
عند تقديم نذرى لك .
أقم سياجاً من البهجة على قلبى ،
لكى لا تتطلع حواسى خارجاً عن سبل ناموسك .
اضبط قلوع خواطرى معاً ،
لسفينة التوبة ،
لكيما أبتهج فيها بينما أبحر عبر بحر العالم ،

إلى أن أصل ميناء رجائك :
وحين تلاطمني التجارب ،
ليت ذهني يتقوّى بتذكارك .
أنر أمامي ، يارب ، الطريق المظلمة ،
بإشراق نور معرفتك .

١٥- احجلني مستحقاً ، يا الله ،
لاستعلان سرّ محبتك ،
التي ارتسمت في تدبيرك للعالم المحسوس ،
في أعمال خليقتك ،
وفي سرّ ذبح ابنك الحبيب .

١٦- يا خالقنا ، العارف بضعف طبيعتي ،
انزع عني عنف العدو المضاد ؛
أبطل من أعضائي سطوة الخطية ؛
أطفئ لهيبها من قلبي ؛
مد يد الشفاء لنفسي المنطرحة
اضبط حواسي الداخلية برباط الصليب ؛
زد في فيض الحب لك ،
الذي ينبع من النظر إلى المصلوب ؛
اجتذب ذهني إلى الداخل ،
بالأمور الخفية للأسرار التي يحملها ؛

ثبّت فيّ تذكار اتضاع ابنك المحبوب ؛
وتمّم في داخلي العجب من تدبيرك لي .

١٧- يا الله ، يا من قبل أن تصنع المصالحة للعالم ،
أعطيته ابنك الوحيد ؛
وبعد أن أكملت المصالحة
أعطيته أن يرث عرش لاهوتك ،
لا تدعني أمضي إلى القبر بلا رجاء ،
ولا أجلس مقيداً بخطاياي في الظلمة
مثل ميت إلى الأبد .

١٨- نُقدّم لك الشكر ، يا الله ،
من أجل عطيتك للعالم .
هذه العطية التي لا تستطيع الكائنات المخلوقة
أن تصف وفرة غناها .
ولأني ، أنا أيضاً ، جزء من (هذا) العالم ،
ليتني لا أتأخر عن تقديم الشكر الواجب عليّ لك .
ولهذا سأحمدك وأعترف لاسمك .
أنت قد أعطيت كنزك كله للعالم ؛
فإذا كنت قد أعطيت ابنك الوحيد .
من حضنك ومن عرش مجدك ،
من أجل ربح الكل ،

فما هو الذى كان لك أكثر من ذلك
ولم تعطه لخليقتك ؟
لقد صار العالم فى شركة مع الله ،
الخليقة والخالق قد صارا واحداً .
المسيح لك من أجل قصدك
الذى لا يدرك كنهه ،
حقاً ، إن هذا السرّ لعظيم جداً .
المجد لك ، من أجل أسرارك المخفية عنا .
اجعلنى مستحقاً ، يارب ،
أن أتذوق هذا السرّ العظيم المخفى والمكتوم ،
السرّ الذى لم يستحق العالم أن يدركه ،
ولكنك قد أظهرت جانباً منه لقديسيك
الذين يعيشون فى الجسد فوق العالم ،
وهم فى كل حين أعلى من حركات الجسد .

١٩- إن فيض أسرار المسيح يضغط ذهنى ،
مثل أمواج البحر .
أردت أن أصمت أمامها فلا أتكلم ،
ولكنها صارت كنار آكلة ،
اضطرمت فى عظامى .
يبكتنى ضميرى إذ يكشف لى خطاياى ،
أسرارك تذهلنى ،

ولكنها تقودني لأعماقها ؛
وفي السكون تهمس إليّ :
« لا تتأخر من الاقتراب لكونك خائفاً
بسبب خطاياك ، أيها الخاطئ ،
لأنك بتأمّل هذه (الأسرار) ،
تنفض وحل الخطية عن ذهنك » .

٢٠- يا من تحل ربط طبيعتنا ،
حطّم القيود الخفية التي التفت حول أعضائي الداخلية ،
وفك عن حواسي الخارجية الحواجز الظاهرة ،
حتى يمكنني أن أجري وأدخل فردوس أسرارك ،
وآكل من شجرة الحياة ،
التي لم يسمح لآدم أن يأكل منها .

يا مخلصي ، احفظني من خبث الشياطين .
يا إلهي ، أبعد عني رخاوة العزم .
يا رجائي ، اسكب في قلبي نشوة الرجاء فيك .
يا يسوع المسيح ، قيامة ونور كل العالم ،
ضع تاج معرفتك على رأس نفسي .
افتح أمامي عاجلاً باب مراحمك ،
واجعل إشعاعات نعمتك تشرق في قلبي .
كن مرشداً لخطوات أفكاري ،

إلى أن أبلغ صهيون ، جبلك المقدس ؛
اجعلني مستحقاً لتلك المدينة المقدسة ،
التي دخلها القديسون في نهاية رحلتهم .
يا خالقي ورجائي ،
مرساة حياتي وسط العواصف ،
عكازي حال مذلتي وهواني ،
ورافع رأسي التي انحنت إلى التراب ،
لا تسلمني لرغبة عدوي ،
ولا تُعْطِه فرصة أن يعاملني بوقاحته ؛
ثبت صوّة عظيمة أمامه
لكي تمنعه من العبور إليّ ليزعجني .
احسبني ، يارب ، مستحقاً أن أكمل حياتي القصيرة ،
السريعة الزوال ، في خدمتك .
ليتني أوجد ملتصقاً بك في نهاية أيامي .
ليتني أوجد في كرمك عند غروب حياتي .
اجعلني مستحقاً ، قبل أن يحين وقت العبور ،
أن أحصل على ذلك الدينار الذي منحته لعمالك .
بنعمتك ، يارب ، وليس من أجل عملي ،
اجعلني مستحقاً ، ولو في الساعة الحادية عشر من حياتي ،
أن أوجد مجتهداً في خدمتك .
ليت العالم لا يأسرني بمشاغله المؤذية .

وليته لا يحبسنى فى قفص اهتماماته الزائلة .

٢٢- أيها المسيح إلهنا ،
يا من تسربلت بالنور كما برداء ؛
يا من ، لأجلى ، وقفت عريانا أمام بيلاطس ،
ألبسنى تلك القوة ،
التى جعلتها تظلل القديسين ،
وبها غلبوا عالم النزاع .
ليت ألوهيتك ، يا رب ،
تجد مسرتها فىّ ،
وترفعنى فوق العالم ،
لأكون معك .

٢٣- أيها المسيح إلهنا ،
الذى لا يستطيع الشاروبيم الممتلئون أعيناً ،
أن ينظروا إليك ،
من أجل عظم بهاء وجهك ؛
لكنك من أجل عظم محبتك ،
لم ترد وجهك عن خزى البصاق ؛
انزع الخزى عن وجهى ،
وامنحنى وجهاً مكشوفاً أمامك
وقت الصلاة .

٢٤- أيها المسيح إلهنا ،
إنك بسبب خطية طبيعتنا ،
دخلت إلى البرية ،
وقهرت سلطان الظلمة ،
وانتزعت منه النصرة بعد خمسة آلاف سنة ؛
اطرد عني ذاك الذي في كل حين ،
يغصب الجنس البشري إلى الخطية .

٢٥- ليت صليب الخزي والعار ،
الذي ارتفعت عليه لأجلي ،
يصير جسراً ينقلني إلى ذلك المسكن الهادئ .
ليت إكليل الشوك الذي كلل به رأسك ،
يصير لي خوذة خلاص عند اشتداد القتال .
ليت البصاق الذي قبلته على وجهك ،
يعيد لاقتناء وجه مكشوف
أمام كرسي الدينونة عند مجيئك .
ليت جسدك المقدس الذي تعرّى فوق الصليب ،
يصلبني للعالم وكل شهواته بالحب لك .
ليت ثيابك التي اقترعوا عليها ،
تمزق أمام عيني لباس الظلمة الذي أرتديه داخلي .
ليت الدم والماء اللذين جريا من جنبك المطعون
يصيران لي صكاً واهباً للحرية من العبودية القديمة .

ليت جسدك ودمك اللذين اتحدا بجسدى ،
يبقيان داخلى ضمانة أننى لن أحرم
من النظر الدائم إليك ،
فى ذلك الملكوت الذى بلا نهاية .
ليت أسرار الإيمان التى حفظتها فى نفسى بلا تحريف ،
تحفظ لى شيئاً أفتخر به ،
فى ذلك اليوم الذى يصير فيه العالم مستعداً
لتقبل مجيئك ،
ولتحل هناك مكان قصور تدبيرى النسكى .

٢٦- ليته يذكر، يارب، على مذبحك المقدس ،
فى تلك اللحظة الرهيبة ،
التى يتقدس فيها جسدك ودمك ذبيحة عن خلاص
العالم :
كل الآباء والاخوة الذين على الجبال ،
وفى المغاير والوديان وشقوق الأرض ،
فى أماكن وعرة مهجورة ، مخفية عن العالم .
ولكنها معروفة لديك ،
الذين انتقلوا ، والذين مازالوا أحياء
يخدمون أمامك بأجسامهم ونفوسهم ،
أنت القدوس الساكن فى القديسين ،
الذين تجد فيهم ألوهيتك راحتها ،

إذ قد تركوا العالم الزائل وصاروا أمواتاً لحياته
لأنهم خرجوا يطلبونك .
اذكر أيضاً ، يا ملك كل العوالم ،
جميع الآباء الأرثوذكسيين ،
الذين من أجل صدق إيمانهم ،
احتملوا النفي والشدائد على يد مضطهديهم .
والذين في الأديرة والمجامع ،
في البراري وفي سكنى العالم ،
وقد جعلوا كل همّهم أينما كانوا ،
أن يرضوك بأعمال الفضيلة :
رافقهم - يارب - وكن لهم حامياً على الدوام ،
وأرسل لهم عزاء في السر ،
واربط أذهانهم بك في جميع جهاداتهم ؛
ليت قوة نارك المقدس تسكن فيهم ،
وليخدموك حتى نهاية حياتهم ،
بضمير صالح وسيرة مضيئة ؛
واجعلهم مستحقين بينما هم مازالوا في الجسد
للراحة في ميناء الراحة .
والذين يواجهون حروباً صعبة من الشياطين ،
سواء في العلن أو في السر ،
أرسل لهم ، يارب ، نجدة ،

وظللهم بسحابة نعمتك ،
وضع على رأس ذهنهم خوذة الخلاص ،
وذلّل تحبر العدو قدامهم .
ولتسندهم قوة يمينك كل حين ،
لئلا يضعفوا في أفكارهم ويخيبوا من التطلّع الدائم إليك .
سربلهم ، يارب ،
بسلاح التواضع ،
لكي تفوح منهم دائماً رائحة عطر لذيذة ،
ترضي مشيئتك .

٢٧- ليت الذين يعانون من الأوجاع الصعبة ،
ومن أمراض الجسد الأليمة ،
يذكرون أمامك ، يارب .
ولترسل لهم ملاك الرأفة ،
لكي يطيب نفوسهم التي اشتد عذابها ،
بسبب آلام أجسادهم المتعبة .
تراءف أيضاً ، يارب ،
على أولئك المذلولين ،
تحت أيدي أناس أشرار عديمي الإيمان ،
أرسل لهم سريعاً ملاك الرأفة ،
وخلصهم من محنتهم .